قصص
بوليسية
للأولاد

لغز ساعة الصفر

الجلسة الأولى


« ممدوح »

دقت الساعة معلنة السابعة والنصف صباحاً ، وأخذت « هادية » مكانها على رأس المنضدة الصغيرة ، وجلس « محسن » و« ممدوح » كل فى مكانه . . وبصوت هادئ وعميق قالت « هادية » وهى تقلب بعض الأوراق أمامها : فتحت الجلسة . .

وتبادل الشقيقان التوءمان نظرة باسمة ، ثم لم يتمالك « ممدوح » نفسه فانفجر ضاحكاً . .

ودقت « هادية » بيدها على المنضدة محتجة وصاحت : لماذا تضحك هذه الضحكة ؟ .

قال « ممدوح » ببساطة وهو يقف ويبتعد عن كرسيه ، وكأنه يريد فض الاجتماع : لأن هذه الجلسة يا عزيزتى « هادية » تتكرر كل يوم ، ولأننا للأسف الشديد لم نستطع

– بالرغم من تخطيطك – السليم أن نعثر على أى لغز حتى الآن . .

وفعلاً ، كانت هذه هى الحقيقة . . فقد كادت شهور الصيف كلها تنتهى والأشقاء الثلاثة يعيشون فى فراغ تام ، « هادية » ذات الثلاثة عشر عاماً ، الطويلة الرشيقة ، وشقيقاها التوءمان « ممدوح » و « محسن » وهما فى الخامسة عشرة . . وبالرغم من اختلاف أفكار الأشقاء الثلاثة واتجاهاتهم ، فإنهم كانوا يتفقون فى شىء واحد مهم هو حب المغامرات . . كانت « هادية » شغوفة بالتخطيط ، تضع تخطيطاً لكل خطوة تخطوها ، وترسم تخطيطاً لكل يوم من أيام حياتهم ، وهى ترى أن الإنسان لا يستطيع أن يبنى مستقبله بطريقة ناجحة إلا إذا اعتمد على التخطيط ، حتى أطلق عليها شقيقها « ممدوح » ساخراً « ملكة التخطيط » . أما هو فقد كان كل اهتمامه ينصب على القوة الجسدية ، وطريقه إليها أن يبنى جسمه بالرياضة ، ولذلك فهو يمارسها فى كل أوقات فراغه ، وبكل أنواعها وبخاصة التى تهتم بتكوين الأجسام . .

أما « محسن » الشقيق الثالث ، فقد كان مغرماً بالعلم والتجارب العلمية ، ويقضى وقته فى إجراء تجاربه وبخاصة تلك التى تهتم بالتجارب الجنائية ، وكانت كل أمنيته أن

يتخرج فى كلية العلوم ، ثم يعمل فى المعمل الجنائى الخاص بالشرطة ، وكان كلما توصل إلى نتيجة ناجحة أقام الدنيا وأقعدها فرحاً . .

وبسبب اختلاف هواياتهم هذه ، اضطر والدهم وهو المهندس الناجح « نبيل حسنى » أن يقيم لهم كوخاً صغيراً أطلقوا عليه اسم « الكوخ العجيب » ، أقامه لهم فى طرف الحديقة الصغيرة التى تحيط « بالفيلا » والتى يسكنون فيها بمدينة المهندسين ، وقد قسموا كوخهم العجيب إلى ثلاثة أقسام ، حجرة خاصة « بمحسن » حولها إلى معمل ، و « ممدوح » فتح باب غرفته على الحديقة لتساعده على ممارسة الألعاب الرياضية . . ولكن « هادية » كونت فى غرفتها مكتبة كبيرة حافلة بكل أنواع الكتب . .

وحسب تخطيط « هادية » كان على الثلاثة أن يحضروا الاجتماع اليومى الذى يبدأ فى السابعة والنصف . . والذى تبدؤه « هادية » عادة بعبارتها التقليدية : فتحت الجلسة . .

وكان على كل فرد من الثلاثة أن يقدم تقريراً عن أهم الأحداث التى صادفته فى يومه السابق . . وكان هدف « هادية » من ذلك أنهم ربما تمكنوا من الوصول إلى لغز يقابلهم أو يصادف

واحداً منهم . . فيبدءون رحلة البحث . . لكن – كما قال « ممدوح » . . مضت الأيام . . تلو الأيام ولم يقابلهم لغز حتى الآن .

وظهر اليأس فى صوت « هادية » وهى تقول : هذا صحيح ولكن ماذا نحن فاعلون . . ليس أمامنا أية طريقة أخرى ، فلنجلس وليقدم كل منا تقريره كالعادة . . ومن يدرى . .

ممدوح : على كل حال بالنسبة لى لم يكن أمامى أمس أى نشاط غير عادى ، فيما عدا أننى قابلت صديقاً مهماً فى الشارع الذى خلفنا . حينما كنت أقوم بتمرين الجرى ، هل تعرفون من هو؟ إنه النقيب « حمدى حسين » . . وهو يهديكم تحياته وسلامه ، وعلى فكرة . . لقد طلب منا أن نقوم بزيارته فى أى وقت نشاء . .

قالت « **هادية** » وهى تكتب ملحوظة فى كراستها : طبعاً . . يجب أن نذهب ، فربما احتجنا إليه قريباً ، ثم إنه من المهم أن يعرفنا شرطة قسم العجوزة ، ويعرفون أننا أصدقاء النقيب « حمدى » فهذا يجعلهم يساعدوننا إذا احتجنا إليهم فى أى وقت . .

ممدوح : معك حق . . وفيما عدا هذا اللقاء . . لم يصادفنى

شىء مهم آخر . .

هادية : أنا الأخرى لم يصادفنى شىء ملفت للنظر . . لقد قرأت كل الجرائد بحثاً عن مغامرة بلا فائدة . . لا شىء ملفت إطلاقاً ما عدا إعلاناً غريباً فى الإعلانات المبوبة . . نشرته سيدة فقدت حقيبة يدها . . وليس هذا هو الغريب . . إنما المدهش أنها كتبت فى الإعلان أنها متنازلة عن الحقيبة بكل ما فيها من محتويات على أن يرد إليها من أخذ الحقيبة المفتاح الأصفر الصغير الموجود فى جيب الحقيبة . . وقد فكرت أن أذهب إلى هذه السيدة فقد يكون وراء اختطاف حقيبتها لغز ما . . غير أنى لم أعثر لها على عنوان . . فقد كتبت عنوانها على صندوق بريد خاص بالجريدة ليوضع فيه المفتاح . .

ممدوح : هذه سرقة صغيرة غير مهمة . . والإعلانات المبوبة مليئة بمثل هذه المفقودات مثلها مثل الكلاب الصغيرة الرقيقة التى تعلن كل يوم صاحبتها عن فقدها : مكافأة كبيرة لمن يعثر على كلب « لولو » صغير تائه . .

انفجر « **محسن** » ضاحكاً وقال : يبدو أننا أصبحنا فعلا تائهين فى فراغ . . وليس أمامنا إلا السخرية والضحك ، على كل حال أنا مشغول جداً عنكما ، فأمامى عمل كثير . . لقد

أوشكت تجاربى لنقل البصمات أن تنتهى . . وقد ساعدنى كثيراً فيها الدكتور « صبرى سيف » وصديقى « بهاء » مساعده !

صاحت « **هادية** » : الدكتور « سيف » نفسه ؟ هو شخصياً تحدث إليك ؟

محسن : طبعاً ! هو بنفسه ، لقد كنت فى زيارة « لبهاء » عندما قابلنى ، فقدمنى له « بهاء » فأخذ يتحدث إلىّ وقال لى إنه يرحب بى فى كل وقت . .

نظر إليهما « **ممدوح** » بدهشة ثم قال : ومن هو الدكتور « سيف » هذا الذى تتحدثان عنه بكل تقدير واحترام ؟

محسن : ألا تعرف الدكتور « صبرى سيف » ؟ . . طبعاً لا تعرفه ! يكفى أنك تعرف « محمد على كلاى » و « بيليه » ملك الملاعب . . إن الدكتور « سيف » يا صديقى أستاذ كبير ، كان عميداً لكلية الطب ، ثم بعد المعاش تفرغ لتجاربه الإنسانية العظيمة ، ومن حسن حظنا أنه قد أجر هذه الفيلا المجاورة ، وقد قال لى إن المنطقة قد أعجبته لهدوئها وبعدها عن الضوضاء التى تزعجه تماماً . .

ممدوح : وهل يقيم فى الفيلا الكبيرة هذه وحده ؟ . .

محسن : لا . . إن معه طبعاً ابنته وهى عالمة مثله اسمها

الأستاذة « سامية » وتعمل أستاذة فى كلية العلوم ، وهى مساعدته الأمينة التى لا يأتمن أى فرد غيرها على تجاربه ، ثم معه طالب جامعى ظريف جداً وطيب جداً ، وأعتقد أنه قريب من بعيد للدكتور « سيف » ، ويقيم عنده حتى ينتهى من دراسته ، وهو ينظم مواعيده ، ويتلقى رسائله ويتولى الرد عليها ، وأحياناً يعاونه فى بعض التحضيرات البسيطة ، واسمه « بهاء حسنين » . وقد استطعت التعرف عليه ، وجمعتنا صداقة متينة بعد أن اتضح أنه يجمعنا أنا وهو حب التجارب العلمية . .

ممدوح : لقد أستطعت الحصول على صديق وأستاذ فى وقت واحد . .

هادية : وهل أقام معمله فى البيت نفسه ؟

محسن : نعم . . تعالوا ! انظروا !

وقف الثلاثة ونظروا من نافذة الكشك ، كان منزل الدكتور على الناصية التالية يفصله عن منزلهم شارع واسع وأشار « محسن » إلى المنزل وقال : إن المنزل مقام على شكل « فيلا » مستديرة ، تحيط بها شرفة كبيرة تطل على الحديقة . . وفى الدور الأعلى تقع حجرات النوم ، وفى الدور الأسفل ، الصالون والمدخل وصالة كبيرة للطعام ، أما هـذه الغرفة الكبيرة التى على نوافذها

الزجاجية ستائر كثيفة فهى حجرة المكتب ، ومنها تدخل إلى حجرة أخرى مغلقة دائماً ، هى معمل الدكتور « سيف » وابنته « سامية » ، وليس لها منفذ غير باب واحد هو الموجود فى حجرة المكتب ، أما غرفة المكتب نفسها فلها بابان ، أحدهما داخل المنزل والثانى يفتح على الشرفة المطلة على الحديقة ، وفى هذه الشرفة أجلس دائماً مع « بهاء » عندما أزوره . . و « بهاء » لا يتحدث عن أسرار رئيسه أبداً ، كل ما قاله أمامى ذات مرة ، إنها تجارب خطيرة جدًّا ستقلب نظريات كثيرة فى العالم عندما يعلنها على الهيئات العلمية ، وأعتقد أنه لا أحد يعلم عنها شيئاً إطلاقاً ما عدا ابنته الأستاذة « سامية » .

هادية : ولكنك لم تخبرنى كيف ساعدك الدكتور « سيف » ؟

محسن : الحقيقة أن حديثه كان شجيًّا وعظيماً ، والحكاية أننى كنت أتحدث مع صديقى « بهاء » ، وهو سكرتير الدكتور كما قلت لكم عندما دخل علينا حجرة المكتب ، فعرَّفه بى « بهاء » ، وأخبره أننى أحب التجارب وأتمنى أن أنجح وأدخل كلية العلوم ، ويومها رحب بى الدكتور « سيف » وقال لى إن الهواية تساعد على النجاح مساعدة كبيرة ، وأنه يتنبأ لى

بمستقبل عظيم إذا كنت أمارس هوايتى منذ الآن . . ثم دار بيننا الحديث التالى :

الدكتور : ماهى التجربة التى تشغلك الآن ؟

أنا : إننى أحاول أن أنجح فى نقل البصمات . .

الدكتور : عظيم ، هل تعرف أن العلم يقف فى كثير من الأحيان عاجزاً عن تفسير بعض ظواهر الطبيعة — أو قل هى قدرة الله — . . فالبصمة مثلا إحدى العلامات التى لا شك فيها ، والتى تميز إنساناً عن الآخر ، فمن المستحيل إطلاقاً أن تتشابه بصمة إنسان مع إنسان آخر ، ولذلك كان من المفيد دائماً أن يحتفظ الإنسان معه ببصمات أصابعه . . وهى الطريقة المتبعة فى البطاقة الشخصية . .

أنا : لقد عرفت أن البصمات لا يمكن نقلها إلا من فوق سطح أملس تماماً . .

الدكتور : هذا صحيح . . وسأخبرك عن الطريقة ، وعليك أن تجرى تجاربك حتى تنجح فى نقلها . . أولا تحضر الأداة التى تريد نقل البصمة من عليها كلوح زجاج مثلا . . ثم تنثر عليها بودرة الرصاص الأسود ، وبوساطة ورق حساس خاص تضعه فوق البودرة تنتقل البصمة إلى الورق ، ويمكن

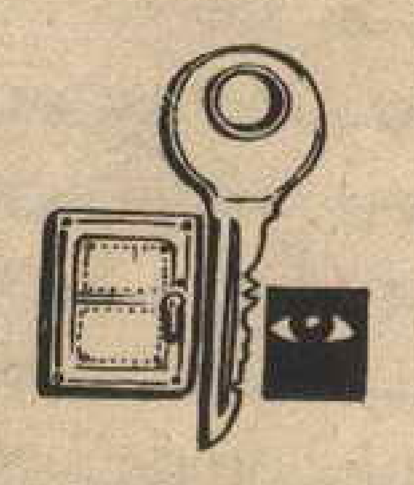
تصويرها بكاميرا حساسة بعد ذلك !

ثم أخرج من درج مكتبه عدداً من أفرخ الورق الحساس ، ووضعه فى ظرف أسود خاص ، وأعطانى إياها . .
أما أنا فقد اشتريت بودرة الرصاص من الصيدلية ، وقمت بإجراء تجاربى حتى نجحت فى نقل البصمة ، وسوف آخذ نتيجة تجربتى معى وأعرضها على « بهاء » اليوم . .

وفجأة . . انبعثت صرخة عالية . . وصوت يصيح :

« محسن » . . . « محسن » . . « محسن » . .

وقفز الثلاثة واقفين . . أسرعوا إلى باب الفيلا . . وعلى الباب المجاور . . كان « بهاء » صديق « محسن » وسكرتير الدكتور يصرخ صائحاً : «محسن» . . «محسن» . . احضر . . أحضروا حالاً . . النجدة . . النجدة ! !



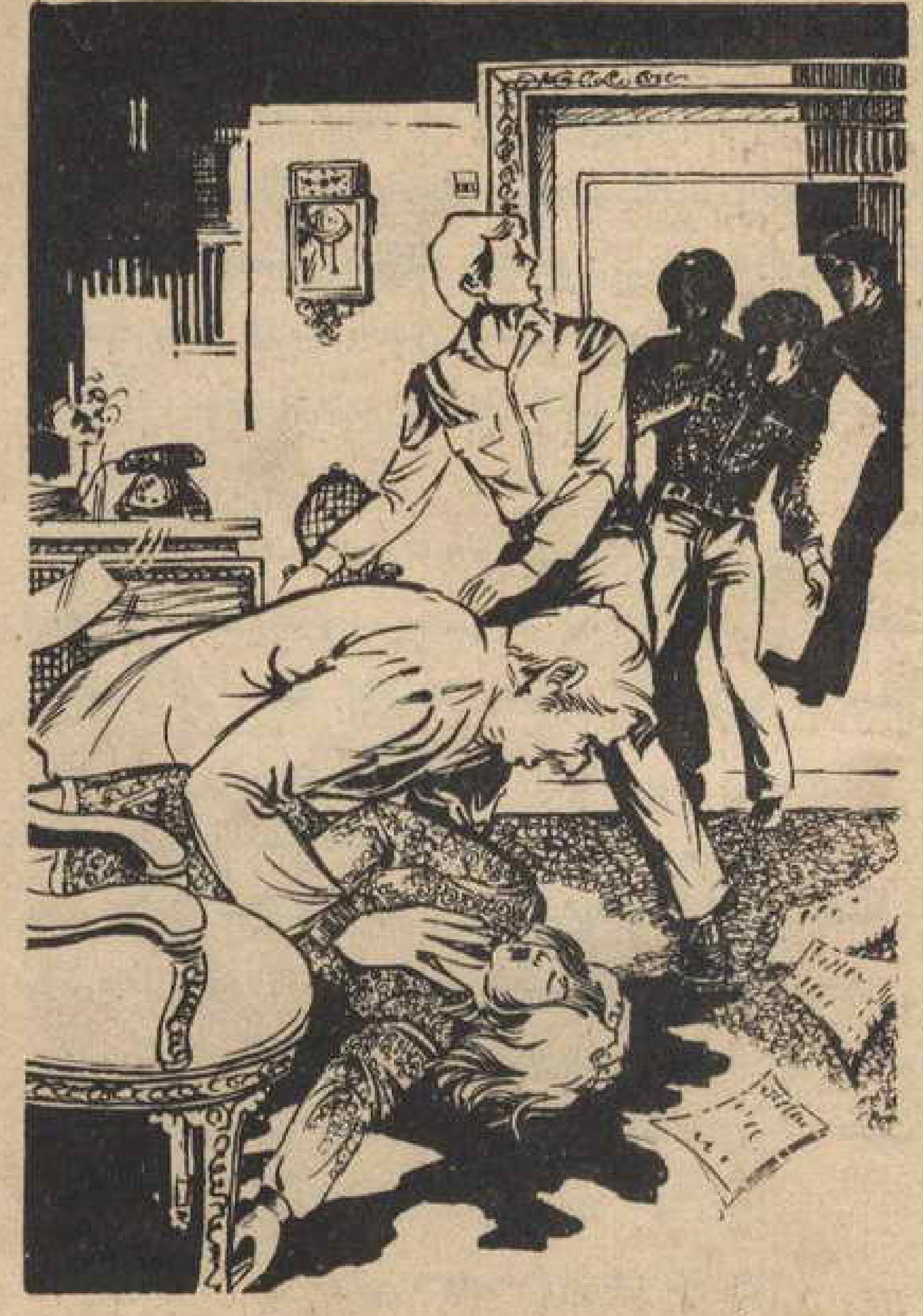
المفاجأة

أسرع الثلاثة بأقصى ما يستطيعون عابرين الطريق إلى حيث يقف « بهاء » ، ولكنه لم ينتظرهم بل اندفع داخلا ، وكان « محسن » يعرف الطريق جيداً فاندفع وراءه يقود شقيقيه وما كادوا يصلون إلى حجرة المكتب حتى شعروا بأن هناك بدون شك حادثاً مثيراً . .



بهاء

نظرت « هادية » أمامها بدهشة . . كان المنظر الغريب يبدو كمشهد من مشاهد مسرحية غامضة . . وحجرة المكتب نفسها هى المسرح . . كانت الحجرة كبيرة . . وبابها المفتوح على الشرفة المطلة على الحديقة يسمح لتيار من الهواء بالدخول فيعصف بأوراق المكتب الضخم الذى يتصدر الحجرة . . وفى مواجهة المكتب فى أقصى الغرفة باب مغلق هو بلا شك الذى



اندفع الأولاد ليجدوا الأستاذة «سامية» ملقاة على الأرض بلا حراك .

يؤدى إلى غرفة المعمل . . ولكن . . المنظر المذهل فعلا . . كان بجوار هذا الباب . . خزانة ضخمة مفتوح بابها على آخره والأستاذة «سامية» راقدة تحته ، وكأنها كانت تحاول أن تمنع غريباً من الوصول إلى الخزانة ، وقد اصفر وجهها ولا تبدى حراكاً حتى أصبح من الصعب أن تميز ما إذا كانت قد أغمى عليها أم فارقت الحياة ، ووالدها راكع على ركبتيه بجوارها ، لا يشعر بأى شىء حوله وهو يولول فى صوت بطىء : «سامية» . . «سامية» . . بنتى . . بنتى . . «سامية» . .

وكان «محسن» أول من أفاق إلى نفسه ، فقال بصوت مرتفع : يجب أن نستدعى طبيباً على الفور ، أو الإسعاف ، ونستدعى الشرطة بأقصى سرعة . . وهنا فقط ، تحرك الدكتور «سيف» ، فنظر إليه بذهول وقال : لا . . لا . . لا أريد الشرطة وضوضاءها وإزعاجها . . استدعوا الطبيب فقط . . بسرعة . . أرجوكم . . اسمه الدكتور «يونس» . . إنه طبيبنا الخاص ، وهو يسكن قريباً من هنا . . بسرعة . . بسرعة . . «سامية» . . «سامية» . . ابنتى . .

وعاد يولول من جديد . .

أسرع «ممدوح» يقفز إلى الصالة حيث التليفون وكان

قد لاحظ مكانه عند دخولهم « الفيلا » ورفع السماعة بلهفة ولكن التليفون كان صامتاً تماماً . . ونظر إليه « ممدوح » بدقة ، وحرك سلكه بيده فإذا بالسلك يستجيب له وفى النهاية وجده مقطوعاً من منتصفه ولم ينتظر « ممدوح » . . وفى قفزات سريعة كان قد وصل إلى بيته واتصل بالطبيب الذى كان طبيب أسرتهم أيضاً . . وفكر قليلا ، ثم أدار القرص . . واتصل بالنقيب « حمدى » . .

فى لحظات كان « ممدوح » قد عاد إليهم ، وأخبرهم أنه اتصل بالطبيب الذى سيحضر بعد لحظات وهمس فى أذن « محسن » : لقد اتصلت بالنقيب « حمدى » وسيحضر حالا . .

محسن : لقد أحسنت . .

وكانت عينا « محسن » تتلفت بدقة حوله فى الحجرة وقد لفت نظره آثار طينية مطبوع عليها أثر حذاء واضح جداً ، وكانت الآثار قادمة من باب الشرفة إلى مكان الخزانة ، ثم امتدت خطوتين إلى حيث ترقد الأستاذة « سامية » ، ثم عادت مرة أخرى إلى باب الشرفة !

قالت « **هادية** » وهى تهمس « لمحسن » : انظر هذه الآثار . .

محسن : إنها واضحة جداً ، وسأحاول أن أتتبعها . .

اتجه « محسن » ناحية الباب ، وهنا لاحظ « بهاء » هذه الآثار ، فاندفع نحوها ، ثم ركع على ركبته ودقق النظر فى أثر الحذاء ورفع رأسه . . كان وجهه مصفراً باهتاً ، وفى عينيه يبدو القلق والخوف . .

محسن : ماذا حدث يا « بهاء » ؟

أشار « بهاء » بأصبعه إلى الآثار وقال : هذه . . هذه الآثار . . إنها آثار حذائى أنا . .

محسن : هل أنت الذى صنعت هذه الآثار ؟

بهاء : لا . . لا . . ولكن هذا الأثر لحذاء أملكه . . حذاء رياضى خاص . . وأنا أعرفه جيداً ! !

هادية : ربما كانت آثار حذاء آخر من النوع نفسه !

بهاء : لا أظن ذلك ، فهو حذاء نادر ، أحضرته معى من الخارج وكنت أزهو به دائماً على أصحابى . . لم يكن يملك مثله أحد منهم !

هادية : وأين هو الحذاء الآن ؟

بهاء : إننى أتركه دائماً مع أدواتى وملابسى الرياضية فى دولاب صغير فى حجرتى . .

ممدوح : إذن تحرك . . تعال نصعد إلى حجرتك ، لنرى هل هو فى مكانه . .

وتحرك « بهاء » ، وتبعه « ممدوح » . . أما « هادية » فقد اقتربت من الدكتور « سيف » محاولة تهدئته . وفى نفس الوقت كان الدكتور « صبرى يونس » ، يدخل على عجل إلى غرفة المكتب وبدون أن يتكلم وقع نظره على « سامية » فركع بجوارها فوراً ، وبدأ عمله . .

وسمعت « هادية » صوت « ممدوح » و « بهاء » ينزلان السلم ، أسرعت إليهما . . ومن وجه « بهاء » أدركت الحقيقة . . كان أشد امتقاعاً . . وأكثر قلقاً . .

وتمتم « **بهاء** » : لقد رأيته فى مكانه بالأمس ، فقط . .

هادية : فلندخل الآن أولاً لنرى ما يقول الطبيب .

كان الطبيب قد وقف فى مواجهة الدكتور « سيف » الذى بدأ عليه الانهيار الشديد . .

وهمس « **بهاء** » : إنها ابنته الوحيدة ، وهى التى تهتم بكل شئون حياته . .

قال الطبيب : من الواضح أنها قد أصيبت فى رأسها إصابة قوية سببت لها هذا الإغماء وقد يستمر غيابها عن الوعى

مدة طويلة . لذا يجب نقلها إلى المستشفى . .

الدكتور « **سيف** » : المستشفى . . لا . . لا . . أبداً لن أتركها تغادر البيت . .

الطبيب : ولكنا سنحتاج لعمل أشعة . . وسوف نغذيها بطريقة خاصة عن طريق « الجلوكوز » حتى تعود إلى وعيها !

وهز الدكتور « سيف » رأسه بعنف وقال : لا . . لا . . لن أتركها . . أحضر كل الأدوات التى تريدها حتى ولو اضطررت إلى نقل المستشفى كله هنا . . سأدفع لك كل التكاليف مهما بلغت .

الطبيب : حسناً . . سنحاول . .

ونظر إلى الممرض الذى يصطحبه . . وقال له : أحضر النقالة من العربة . . ثم اطلب ممرضة مقيمة لتقيم مع المريضة . .

وفى لحظات ، أحضر الممرض نقالة من التى تستعمل فى الحالات العاجلة ، وهى قطعة كبيرة من القماش السميك مثبتة من طرفيها بعصاً خاصة متينة . . وفرد النقالة ، واشترك « ممدوح » و « بهاء » مع الممرض فى نقل الأستاذة « سامية » إلى الدور العلوى . . وسبقهما الدكتور « سيف » . . وفى اللحظة التى صعدوا فيها إلى الدور الثانى ، كان النقيب يدخل من الباب

الذى كان ما زال مفتوحاً ، ولمحه « محسن » فأسرع إليه ، وفى كلمات مركزة قصيرة قص عليه كل ما حدث . .

أخذ النقيب « حمدى » يفحص الحجرة جزءًا جزءًا بكل حرص . . ولفت نظره أيضاً آثار الحذاء ، وقصت عليه « هادية » حديث « بهاء » عنه . . ثم فحص باب الخزانة و « محسن » يتطلع إليه باهتمام ، وقال « محسن » يتردد : يبدو أنه مفتوح بمفتاح ، فليس هناك أى خدش أو إصابة بالباب .

حمدى : نعم هذا صحيح ، وبخاصة أن الخزانة عادية ، من الطراز القديم وهى تفتح بمفتاح . . حتى بدون أرقام خاصة ، إنها أقرب إلى الدولاب المتين منها إلى الخزانة الحديثة . . والآن . . متى يعود السكرتير « بهاء » ؟

هادية : ها هو ينزل السلم !

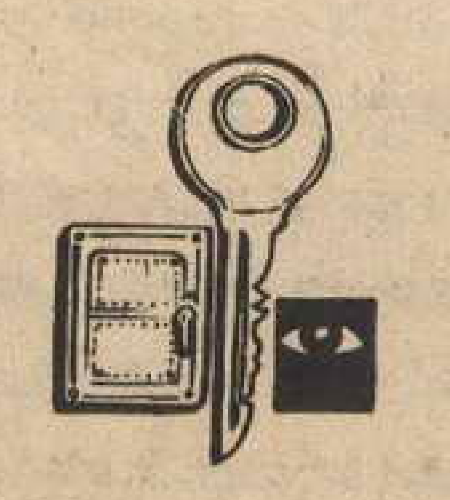
حمدى : أرجو تعريفى به بطريقة لطيفة حتى يطمئن لى تماماً . . ووصل « بهاء » ومعه « ممدوح » . . وأسرع « محسن » يقدمه إلى الضابط قائلا : النقيب « حمدى » . . وهو صديق لنا أكثر منه ضابطاً له صفة رسمية . .

وابتسم « حمدى » وهو يهز يد « بهاء » مرحباً . . وقال له : اسمع إننى أرى فى الموضوع حادث سرقة واضحاً . . هل أستطيع

أن أوجه إليك بعض الأسئلة ، فقد تساعدنا فى الوصول إلى الحقيقة . . نظر إليه « بهاء » ، ثم تحولت نظراته بطريقة لا إرادية إلى آثار الحذاء . . وظهر على وجهه القلق . .

حمدى : اطمئن يا « بهاء » . . حتى لو كانت هذه الآثار هى آثار حذائك . . فإنها لا تعنى لى إلا شيئاً واحدًا . . أنك لست الفاعل . . فمن غير المعقول أن يترك اللص وراءه مثل هذا الأثر الظاهر . . إنه أثر مقصود منه أن يلقى الفاعل التهمة عليك . . ولكنى طبعاً لا أستطيع أن أصدق شيئاً كهذا . .

اطمأن « بهاء » . . وجلس أمام النقيب « حمدى » . . وبدأ « حمدى » استجوابه . . وجلست بجواره « هادية » وأحضرت ورقة وقلماً . . وأخذت تدون بعض ملاحظاتها . .



التحقيق

النقيب « حمدى » : قصّ على بالتفصيل ، كيف اكتشفت الحادث . . وبطريقة أسهل ، بما أننا مازلنا فى أول الصباح . . قصّ على تفاصيل تحركات أهل البيتِ جميعاً منذ الأمس حتى الآن . .

النقيب « حمدى »

بهاء : أظن أن « محسن » قد أخبرك أننا نقيم فى هذا البيت ، الأستاذ الدكتور « سيف » والأستاذة « سامية » وهى التى تشرف على كل شئون البيت وبخاصة شئون الدكتور ، وأنا . . وعندنا طباخ يترك المنزل فى المساء بعد العشاء مباشرة ، وخادم كبير السن يلازم الدكتور منذ أكثر من عشرين عاماً . . وأمس بعد العشاء . . وكانت الساعة الثامنة تقريباً دخلت الأستاذة « سامية » إلى المعمل على الدكتور « سيف » ، وكانت السعادة تبدو عليهما ، فقد انتهت آخر تجربة نظرية فى

أبحاثهما . . وكانا يكتبان آخر تقرير . . وانتهيا منه فى الساعة العاشرة . . خرجا يتحدثان فى منتهى الفرح . . وصعدت « سامية » إلى حجرتها لتنام ، واستعد الدكتور « سيف » للخروج فى جولته المعتادة . . فمن عادته أن يسير يومياً من الحادية عشرة حتى الثانية عشرة مساء حول المربع الذى يقع فيه البيت ، كعادة رياضية يداوم عليها طوال حياته وأنا أرافقه أحياناً فى جولته . . ولكنه أمس طلب منى أن أنام مبكراً لأن الغد يحمل لنا الكثير من الأعمال الهامة ، فهو ينوى الاشتراك فى مؤتمر لكبار العلماء بالخارج ليعرض عليهم نظرياته الجديدة ، وفعلا . . توجهت أنا إلى حجرتى . . وخرج الدكتور « سيف » إلى جولته . .

النقيب « **حمدى** » : ومتى عاد ؟ هل شعرت بعودته ؟

بهاء : طبعاً . لقد عاد فى موعده تماماً فى الساعة الثانية عشرة . . وكنت ما أزال مستيقظاً أقرأ . . وقد لفت نظرى أن الدكتور كان معتاداً عندما يجدنى مستيقظاً أن يطرق باب غرفتى ويتمنى لى ليلة سعيدة ، ولكنه فى هذه المرة مر بحجرتى ولم يطرق بابى ، وقد عللت ذلك بأنه منهمك فى التفكير فى نتائج أبحاثه الأخيرة . .

النقيب : وبعد ذلك ؟

بهاء : استغرقت فى القراءة فترة ، ثم أطفأت النور ونمت ، واستيقظت فى موعدى المعتاد ، ومن عادتنا أن نلتقى نحن الثلاثة على مائدة الإفطار فى الساعة الثامنة ، حيث يقضى الدكتور « سيف » قبل ذلك بعض الوقت فى معمله . وعندما نزلت إلى حجرة المائدة ، لم أجد الدكتور ولم تحضر الأستاذة وانتظرتهما حوالى خمس دقائق ولما لم يحضر أحد قمت إلى حجرة المكتب ، وهناك فوجئت بهذا المنظر وكان الدكتور ينظر إلى ابنته كالمذهول ، صامتاً لا ينطق ، فأسرعت واستنجدت « بمحسن » . .

النقيب : هل يحتفظ الدكتور عادة بنقوده فى هذه الخزانة ؟

بهاء : أبداً . . إنه لا يضع فيها أى شىء إلا دوسيهات وأوراق أبحاثه العلمية !

النقيب : وهل كان هناك الكثير منها فى الخزانة ؟

بهاء : نعم ! لقد كانت الخزانة ممتلئة بها !

النقيب : إذن فأنا أرجح أنها سرقة علمية . . سأتصل بالمعمل الجنائى ليبعث إلينا بخبرائه لفحص الخزانة فقد يجدون حولها بعض الآثار . . وعلى فكرة هل أستطيع أن أعرف

ما هو موضوع أبحاث الدكتور الأخيرة ؟

بهاء : آسف ياسيدى ؟ هذه أسرار علمية ليس من حق أحد أن يتحدث عنها إلا الدكتور « سيف » نفسه . .

النقيب : هذا صحيح ، سأحاول أن أتحدث فى هذا مع الدكتور أما الآن فأرجو أن تأتى معى يا « محسن » إلى منزلكم لأتصل بالمعمل الجنائى . .

وفجأة ارتفع صوت حاسم من باب المكتب يقول : لماذا ياسيدى ؟ أنا لا أريد المعمل ولا الشرطة ولا أن يتدخل أحد فى شئونى الخاصة . .

استدار النقيب « حمدى » والجميع إلى اتجاه الباب ، كان الدكتور « سيف » يقف وهو يرتجف من الغضب ، ويتحدث بصوت عال أكبر مما تحتمله صحته وسنه الكبيرة . .

ونظر إليه النقيب « حمدى » متسائلا . . وأشار إلى الخزانة وقال : ولكن يا سيدى ! وقاطعه الدكتور « سيف » : لا شىء . . لم يحدث شىء . . لم تحدث هنا أية سرقة على الإطلاق !

سرقة لم تحدث

وقف الدكتور « سيف » يواجه النظرات المتسائلة التى توجه إليه ، وهو يرتعد من الغضب والإرهاق . . وأسرع إليه « بهاء » يساعده على السير والجلوس فى مقعد مريح وأسرعت إليه « هادية » تناوله كوباً من الماء . .



هادية

استراح الدكتور قليلا . .

فتوجه إليه النقيب « حمدى » . . وقال بهدوء شديد : سيدى الدكتور ، إننى أشك فى أن غريباً قد اقتحم بيتك ، وقام بسرقة بعض الملفات ، وإصابة الأستاذة « سامية » !

هز الدكتور رأسه بعنف وقال : « سامية » لم يضربها أحد لقد شعرت بدوارٍ وسقطت على الأرض فأصيبت بالاغماء . .

النقيب : وسلك التليفون المقطوع ؟

الدكتور : عندما رأيت « سامية » مغمى عليها أسرعت إلى

التليفون ، ولكنى كنت عصبياً فجذبته بشدة فانقطع منى . .

تبادل النقيب و « ممدوح » النظرات . . ثم عاد يسأله . .

النقيب : والملفات الضائعة ؟ !

الدكتور : لم تضع أية ملفات ، لقد قمت بنقلها كلها بالأمس من الخزانة إلى مكان آخر .

وانبعث آهة خفيفة من « بهاء » ، ولكن الدكتور نظر إليه نظرة تحذير هائلة لاحظها « محسن » على الفور . . فأشاح « بهاء » بوجهه بعيداً عن النقيب ولم ينطق بكلمة . .

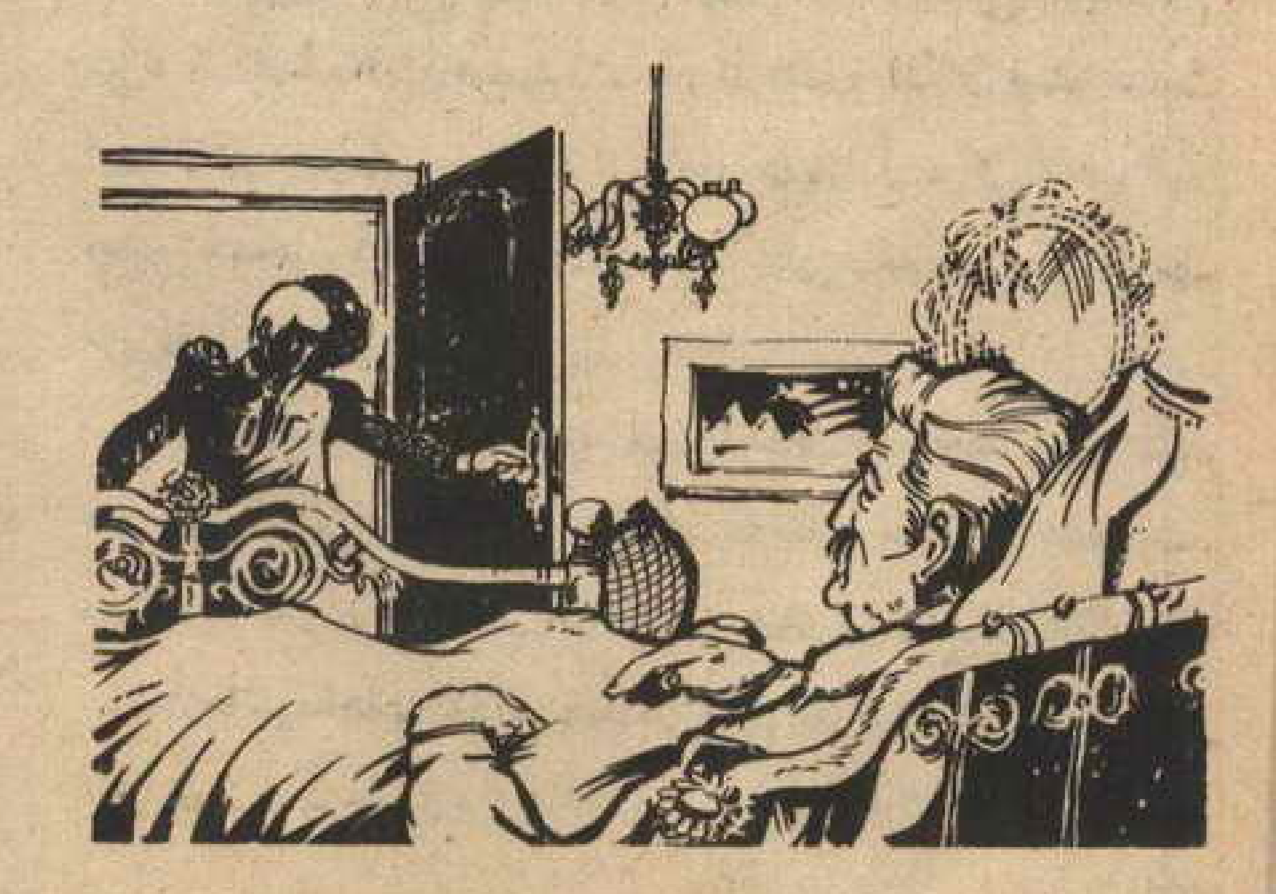
الدكتور : اسمع ياسيدى النقيب . . لم يحدث هنا أى شيء . . إنه حادث عرضى . . وقد تصرف « بهاء » بتهور عندما استدعاكم وأتعبكم . . والآن . . أرجوكم . . أرجوكم الانصراف وعدم التدخل فى شئونى . . أريد بعض الهدوء . . انصرفوا من فضلكم .

وكان صوته طوال الحديث متحشرجاً ، متهدجاً ، يتلجلج فيه بعض الشيء . . وظهر الإعياء الشديد عليه حتى خيل إلى « هادية » أنه على وشك الإغماء ، فأسرعت إليه وقالت « لبهاء » : أرجوك ساعدنى فى توصيل الدكتور إلى غرفته .

وأسرع « بهاء » و « هادية » يساعدان الدكتور على الوصول

إلى فراشه فى غرفته ، وأخذت « هادية » تساعده على خلع ملابسة والدخول إلى سريره ، وابتسمت فى سرها وهى تلاحظ أنه قد أخرج رجله من الحذاء بسهولة تامة حتى بدون أن يفك الرباط وقالت لنفسها : هؤلاء العلماء . . إنهم جميعاً متشابهون ، لهم تصرفات غريبة ، فالدكتور يلبس حذاء أكبر من قدمه بكثير ، لعل ذلك يريحه فى السير ، وبالتالى فى التفكير . .

وحضر الطبيب ، ولاحظ انفعال الدكتور على الفور ،



فأعطاه حقنة مهدئة ، وأنزل الستائر لتظلم الغرفة ، وطلب من الجميع الهدوء ، حتى يتمكن الدكتور من النوم ليستيقظ أكثر نشاطاً وقدرة على التفكير . .

أغلقت « هادية » باب غرفة نوم الدكتور بهدوء ، ونزلت مع « بهاء » إلى أسفل ، وكان « ممدوح » و « محسن » والنقيب « حمدى » قد انتقلوا إلى « الكوخ العجيب » فانضما إليهم . .

وتحدث النقيب « حمدى » : هناك حادث غامض ، والدكتور لا يريدنا أن نتدخل ، ولذلك سأنصرف لأنه لا يمكننى القيام بأى عمل بدون إذنه ، ولكنى أرجوكم وأنا لا أعرف الظروف القادمة - أن تراقبوا المكان فربما حدث شىء آخر نستطيع بعده أن نتدخل بصفة رسمية . .

ووافق الأولاد على ذلك طبعاً بكل ترحيب ، ثم ودعهم النقيب « حمدى » ومضى . .

جلس الإخوة الثلاثة مع « بهاء » ، وقد خيم عليهم الصمت الذى يصاحب التفكير ، حتى « عنتر » الذى شعر بحاسته القوية أن هناك مغامرة خطيرة تلوح فى الأفق ، أخذ يدور حولهم وكأنه يفكرهم بوجوده ، ولكنه أيضاً يدور فى صمت تام . .

وأخيراً نطق « محسن » فقطع الهدوء المخيم عليهم وقال :

هل تعتقدون حقاً أنه لم تحدث حادثة سرقة كما قال الدكتور « سيف » ؟ !

رد « بهاء » : لا . . إننى متأكد من أنه قد حدثت سرقة ، وسرقة خطيرة أيضاً ، ولست أدرى لماذا يصر الدكتور على إنكار ذلك ! وعلى فكرة إنى أعتذر لكم عن تصرف الدكتور بهذه الخشونة . . فهذا يخالف طبيعته بالمرة ، ولكنى أعتقد أن إصابة الأستاذة « سامية » هى السبب ، فهى وحيدته ويحبها حب العبادة !

هادية : أعتقد أن الدكتور قد وقع تحت تأثير الخوف من اللص المجهول ، فربما يكون قد هدده تهديداً مخيفاً جعله ينكر كل شىء . .

محسن : أنا أرجح هذا الرأى ، وخصوصاً بعد إصابة الأستاذة « سامية » ، لعلهم إذا كانوا عصابة مثلا . . أن يكونوا قد هددوه بقتلها . .

ممدوح : فى هذه الحالة يجب علينا نحن أن نتدخل ، إننا لا نملك الصفة الرسمية مثل الشرطة ، ولذلك يصبح من السهل علينا أن نحاول الوصول إلى هذه العصابة بدون أن يشعروا بنا . .

محسن : إذن . . وكلنا موافقون على هذا الرأى ، كيف نبدأ ؟

ممدوح : لنبدأ فوراً بأن . .

وقاطعته « هادية » وهى ترفع يدها معترضة : لا . . لا . . ليس بهذه السرعة ، ولا هذا الاندفاع . . يجب أن نفكر أولاً فى خطة سليمة نشترك بها ، ونحدد لكل واحد منا دوره . .

محسن : هذا صحيح . . خططى يا « ملكة التخطيط » !

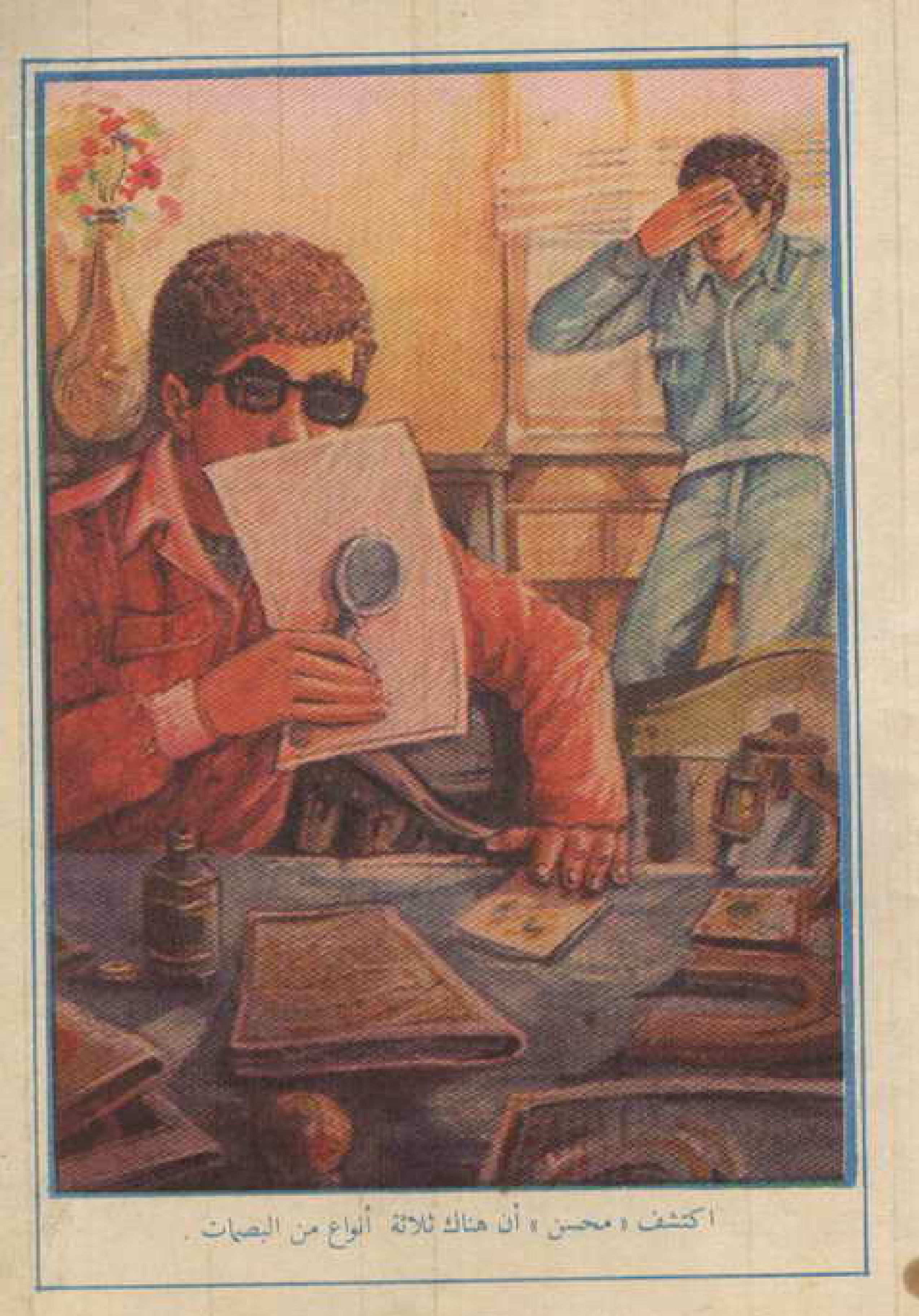
هادية : لنبدأ من البداية ، عندما دخلنا حجرة المكتب كانت الخزانة مفتوحة ، إذن فقد فتحها الفاعل ، وفى هذه الحالة ربما يكون قد ترك بصمة من بصماته عليها . وهذا دور « محسن » . . أن يجرب تجاربه الناجحة فى نقل البصمات التى فوق الخزانة .

محسن : معك حق . . هذا دورى . .

هادية : الأمر الثانى . . هو آثار الحذاء . . نحن لم نتابع هذه الآثار . . إلى أين تذهب ؟ أو من أين أتت ؟

ممدوح : هذا دورى أنا ، فقد تكون قد اتجهت إلى مكان بعيد ، وأستطيع أنا أن أتابعها طبعاً .

هادية : أما « بهاء » فعليه مهمة أخرى . . أن يحضر لنا



اكتشف « محسن » أن هناك ثلاثة أنواع من البصمات

أى شىء ممكن أن تكون عليه بصمة الأستاذة « سامية » ، وكذلك الدكتور « سيف » ، وبصمته هو أيضاً وبصمات كل من يعمل فى المنزل . . حتى إذا عثرنا على بصمة غريبة كانت هى التى نبحث عنها . .

بهاء : سأحاول بكل جهدى وبسرعة !

هادية : وبما أنكم ستعملون جميعاً فى حجرة المكتب ، وبما أن الدكتور « سيف » لا يريد أن يتدخل أحد فى شئونه ، فسأصعد أنا إلى الدور الثانى أولا لأراقب لكم الجو وثانياً للتعرف على الممرضة فقد نحتاج إليها .

ممدوح : وسنلتقى جميعاً هنا فى الساعة الخامسة كالعادة ليقدم كل منا تقريراً عما فعله .

وهكذا . . انطلق كل واحد إلى هدفه . .

• • •

وفى الساعة الخامسة تماماً اجتمع شملهم مرة أخرى . . وقدم كل منهم تقريره . . وكان التوتر وجو الإثارة يحيط بالجلسة الحافلة . .

بدأت « **هادية** » تقريرها : تمكنت من إقامة علاقة صداقة مع « ناهد » الممرضة وهى فتاة ظريفة بسيطة ، أسعدها أن

تجد من تتحدث معه ، وقد صارحتنى بأن الأستاذة « سامية » ستبقى فاقدة الوعى مدة قد تمتد إلى أكثر من أسبوع . . وشرحت لى شرحاً طبياً وافياً عن إمكان حدوث هذه الإصابة وتقول إنه نوع من الارتجاج يصيب المخ ويسبب فقدان الوعى ، وإن دورها هو مراقبة المريضة مراقبة دائمة مستمرة حتى لا تتحرك حركة قوية ، ولذلك عليها أن تستدعى الطبيب فوراً إذا بدأت فى الإفاقة ، وهى أيضاً تقدم الغذاء للمريضة عن طريق الحقن . . وتعطيها علاجاً دقيقاً طوال ساعات الليل والنهار ، وقد طلبت منها أن تستدعينى فى أى وقت تحتاج إلى معونة . .

محسن : حسناً فعلت . .

هادية : أما الدكتور « سيف » فقد استراح طوال ساعات اليوم فى فراشه . . ثم استيقظ فى الساعة الرابعة ، وقد أسرعت وتركت البيت بعد أن تأكدت أن « محسن » و « ممدوح » قد انتهيا من مهماتهما . .

ممدوح : أما أنا فقد انتهت مهمتى للأسف بأسرع مما توقعت ، فلا يوجد أى أثر للحذاء خارج الغرفة . . لا دخولا ولا خروجاً . . فعند باب المكتب المطل على الشرفة تبدأ الآثار ، وعنده تنتهى أيضاً ، وقد فحصت الحديقة فحصاً دقيقاً ،

وكذلك خارج « الفيلا » ، فلم أعثر على أى شىء . .

بهاء : غريبة . . ترى ما تعليل ذلك ؟

محسن : يبدو أن اللص قد حضر بحذاء آخر لا يترك أى أثر ثم تركه على باب الشرفة ولبس حذاءك ثم ارتكب جريمته ، وعندما عاد خلع حذاءك مرة أخرى ولبس حذاءه !

ممدوح : وما غرضه من ذلك ؟

هادية : مسألة بسيطة جدًا ، فهو يريد إلقاء التهمة على « بهاء » !

بهاء : إنه شيطان داهية !

هادية : ولذلك علينا الوصول إليه قبل أن يرتكب جريمة أخرى ! والآن دورك يا « محسن » !

قام « محسن » وأحضر ورقة عليها مجموعة من البصمات ، وقال : لقد وجدت ثلاثة أنواع من البصمات ، وهى لثلاثة أشخاص مختلفين ، انظروا هذه البصمة مختلفة عن هذه ، وتلك البصمة لإصبع سيدة بغير شك !

بهاء : لقد قمت بمهمتى أنا الآخر . . وقد أحضرت أسهل شىء وفى الوقت نفسه هو دليل حاسم لاشك فيه ، فقد فكرت فى إحضار البطاقات الشخصية ، وقد عثرت بسهولة على

بطاقة الدكتور « سيف » فقد كانت فى درج مكتبه ، ولحسن الحظ وجدت معها بطاقة الأستاذة « سامية » أيضاً . .

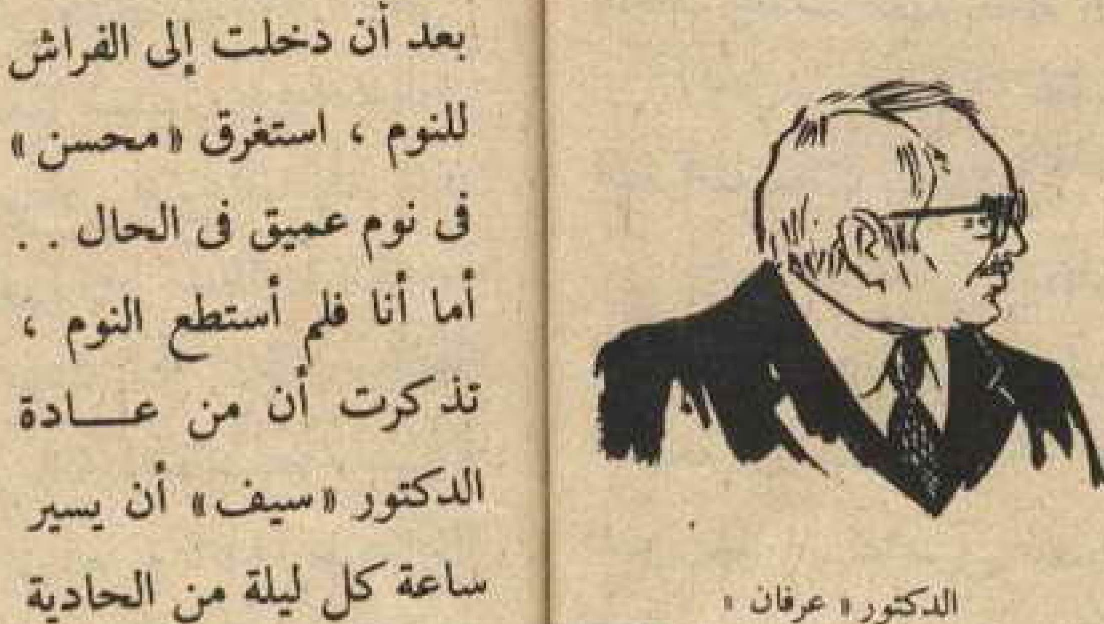
محسن : عظيم ! عظيم جدًا ! . علينا الآن أن نقارن البصمات بعضها ببعض . .

وفتح « محسن » البطاقات الشخصية ، وأحضر البصمات التى تمكن من تصويرها من فوق الخزانة ، والتفت الرءوس الأربعة فى لهفة وقلق . . وأخذ « محسن » بواسطة قلم رفيع السن يشير إلى تفاصيل البصمات ثم أمسك بعدسة مكبرة أخذوا يتناقلونها واحداً بعد الآخر ولكن . . للأسف . . لم يكن هناك من شىء جديد . . كانت البصمات الثلاثة مطابقة لبصمات الدكتور و« سامية » و « بهاء » . .

وابتعدت الرءوس . . وتنهدت « هادية » فى يأس وجلس كل واحد فى مكانه . . ولم ينطق أحدهم بكلمة .

وهكذا . . فى التاسعة تماماً . . ذهب كل واحد منهم كالعادة إلى فراشه وأخذت «هادية» تتقلب فى فراشها وهى تفكر . . وطال بها التفكير . . فلم تشعر بنفسها إلا وقد استغرقت فى نوم عميق . .

المفاجآت المتوالية



الدكتور « عرفان »

فى الصباح التقى الإخوة الثلاثة على مائدة الإفطار مع والديهم ، ولم يتحدثوا عن حادث الأمس ، لم يكن هناك شىء مؤكد يتحدثون عنه ، ولكن « ممدوح » . . كانت عيناه مملوءتين بالتوتر . . كان يريد أن يقول شيئاً هاماً . . يكتمه فى صدره على مضض.

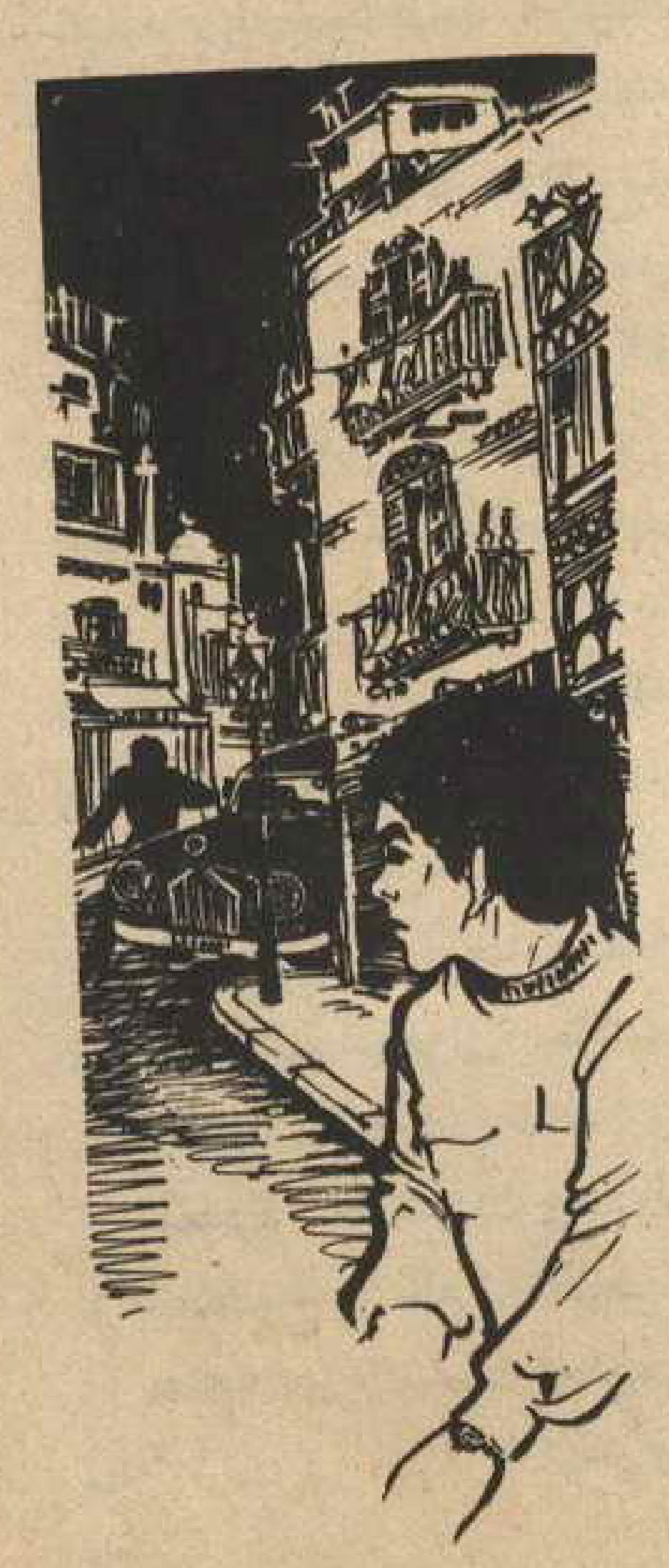
ولذلك كان أسرعهم فى تناول الإفطار ، ثم اتجه بسرعة إلى « الكوخ العجيب » وفى لحظات كانت « هادية » و « محسن » معه . .

هادية : ماذا حدث ؟ يبدو عليك القلق الشديد !

ممدوح : نعم ! لقد حدث حادث جديد ، أعتقد أنه سيحرك الأحداث حولنا . .

محسن : تكلم . . بسرعة . . ماذا حدث ؟

ممدوح : بالأمس ، بعد أن دخلت إلى الفراش للنوم ، استغرق « محسن » فى نوم عميق فى الحال . . أما أنا فلم أستطع النوم ، تذكرت أن من عادة الدكتور « سيف » أن يسير ساعة كل ليلة من الحادية عشرة حتى الثانية عشرة وسألت نفسى ، هل يفعل الليلة الشىء نفسه . وعندما اقتربت الساعة من الحادية عشرة وجدت نفسى أسرع إلى « عنتر » ، فآخذه معى وأتسلل لأقف فى ظل البيت فى أقرب مكان من بيت الدكتور . . وفى الموعد المحدد تماماً ، خرج



الدكتور ، وبدأ جولته اليومية ، سرت بعيداً عنه ، كنت أخشى عليه أن يهاجمه اللص . . وظللت أتبعه من مكان إلى آخر . . حتى اقتربت الجولة من نهايتها . . واقتربنا من البيت ، وإذا بسيارة « مرسيدس » سوداء مسرعة تندفع ناحيته ، حتى تصورت أنها تدوسه ، ولكن عندما وصلت إليه توقفت . . لحظات قليلة ، جريت إليها ولكنى لم أستطع أن أعرف هل تبادل سائقها حديثاً مع الدكتور ، أو دس فى يده رسالة ، فقد نبح « عنتر » نبحة عالية ، وقبل أن أسكته شعر به سائق العربة فاندفع مبتعداً . .

وقد اضطررت للانزواء حتى لا يرانى الدكتور ، الذى عاد إلى المنزل فى موعده تماماً . .

هادية : هل استطعت أن تعرف رقم السيارة ؟!

ممدوح : لا . . لقد كنت بعيداً ، وكان الظلام حائلا بينى وبين قراءة الرقم !

محسن : ما الذى تستنتجه من هذا الحادث ؟

ممدوح : أستنتج أن بعض الناس يحاولون تهديد الدكتور أو الاتصال به لسبب من الأسباب . .

هادية : ربما يريدون تحذيره من الاتصال برجال الشرطة مثلاً !

محسن : إذا كانوا لم ينجحوا فى ذلك بفضل « عنتر » ، فأعتقد أنهم سيعاودون المحاولة مرة أخرى . .

ممدوح : إذن يجب أن نراقب الدكتور مراقبة دقيقة . .

قالت « هادية » وهى تنظر من النافذة : ها هو ذا « بهاء » قادم . . يبدو أنه يحمل أخباراً هو الآخر ، فوجهه أصفر كوجوه المرضى !

ممدوح : ويحمل فى يده كيساً من الورق . . ترى ماذا به ؟

ودخل « بهاء » . . صامتاً . . مصفراً ، يبدو القلق فى عينيه . . وألقى بالكيس الورق على المائدة ونطق بكلمة واحدة : انظروا !

أسرع « ممدوح » بفتح الكيس . . ومنه أخرج الحذاء . . حذاء « بهاء » الرياضى الذى اختفى من قبل . .

وساد سكون لم تقطعه إلا نظراتهم التى يتبادلونها فى دهشة . . ثم تكلم « بهاء » .

لقد وجدته هذا الصباح . . فى مكانه من الدولاب . . وكأنه لم يختف من قبل !

محسن : هل تعرفون معنى هذا ؟

هادية : نعم . . لقد عاد اللص إلى المنزل مرة أخرى ، وتمكن ببساطة شديدة من وضع الحذاء فى مكانه ! ولم يره أحد أيضاً . . ولكن لماذا أعاد الحذاء ؟

محسن : لأن ذلك يؤكد الشبهة ضد « بهاء » . .

بهاء : ويبدو أنه قد نجح فى ذلك . . ولو أننى لا أعرف كيف . . هل يمكن أن يكون الدكتور « سيف » قد رأى الحذاء مرة أخرى ؟ ولكن الذى أذهلنى هذه النظرات الغريبة التى ينظر بها الدكتور إلىّ . . وهو لا يتحدث إلىّ إطلاقاً . . فعندما التقينا هذا الصباح ، أومأ لى برأسه بالتحية ، ثم غمغم بصوت منخفض فاخبرنى أن أعتبر نفسى فى إجازة لأنه لن يعمل هذه الأيام . . بل طلب من الخادم أن يوصل كل الرسائل له مباشرة . . حتى التليفون بعد إصلاحه ، أخذه إلى حجرة نومه حيث اعتكف فيها حتى الآن . . ألا ترون أنه يشك فى ؟

هادية : ربما . . وربما يكون هناك شىء آخر . . فأنا أعتقد بعد الذى رآه « ممدوح » بالأمس أنه ينتظر رسالة أو مكالمة ، وهو يريد أن تصل إليه مباشرة !

بهاء : ماذا رأى « ممدوح » ؟

وقص عليه « ممدوح » قصة السيارة « المرسيدس » السوداء . .

هادية : هل تعرف صديقاً للدكتور عنده سيارة سوداء ؟

بهاء : لا . . إن للدكتور عدداً قليلاً جداً من الأصدقاء . . وليس بينهم من يملك سيارة سوداء . . وصمت قليلا ثم قال : آه ، تذكرت . . منذ أسبوع حضر أحد العلماء الأجانب ، ومعه أحد أصحاب المجلات العلمية فى الخارج . . وأجروا حديثاً مع الدكتور عن أبحاثه وكانوا يركبون سيارة مرسيدس سوداء . .

هادية : هل تحدث معهم الدكتور عن طبيعة أبحاثه ؟

بهاء : لا . . لقد لمح فقط إلى أهميتها ، ونتيجتها التى ستغير الكثير من أفكار العلماء . .

وفجأة لمعت فى رأس « هادية » فكرة . . فسألت : كم فرداً حضروا هذا اللقاء ؟

بهاء : كانوا ثلاثة . . العالم . . وصاحب المجلة . . .

هادية : والثالث كان مصوراً صحفياً ، وقد التقط العديد من الصور للدكتور . . أليس كذلك ؟

دهش « **بهاء** » وسألها : هذا صحيح . . وكيف عرفت ؟

هزت « **هادية** » رأسها وقالت : إنها مجرد فكرة . . فكرة

غريبة . . لو صحت ، ولكن ليس هذا وقتها . ولم تكمل « هادية » حديثها . . بل حولت الكلام إلى مجرى آخر . .

هادية : وهل نشر هذا الحديث الصحفى . .

بهاء : لا . . فقد حدث هذا اللقاء الصحفى منذ أسبوع واحد فقط ، وأعتقد أنه لم ينشر بعد . .

هادية : آه ، على ذكر المجلات ، إننا لم نقرأ جرائد اليوم بعد ، ولعل فيها لغزاً جديداً . . وأمسك كل واحد منهم جريدة يقرؤها على حين خرج « ممدوح » يمارس رياضة الجرى حول المنزل ، و « عنتر » يعدو فى أثره . . وكان يفكر ، لقد كانوا بالأمس فى حاجة شديدة إلى لغز يشغلون به وقت فراغهم . . وها هو ذا بين أيديهم . . لغز عويص ، هل يتمكنون من كشفه ؟!

أما فى الكوخ فقد وقف « بهاء » فجأة ، ووضع الجريدة على المائدة ، ووضع إصبعه على خبر صغير وقال : لا . . لا . . هذا غير معقول ، إنه مستحيل . . مستحيل !

* * *

دخل « ممدوح » عندما سمع صرخة « بهاء » واندفعوا جميعاً . . يحيطون به وينظرون إلى مكان إصبعه على الجريدة

وقد انتابتهم الدهشة . . وقال « محسن » : ماذا . . ماذا حدث يا « بهاء » ؟

بهاء : الدكتور « عرفان » . .

وصمت مرة أخرى كالمذهول . .

وصاحت « هادية » بصبر فارغ : ماذا حدث له ؟ . . ومن هو الدكتور « عرفان » ؟

ولم ينطق « بهاء » وإنما مد إصبعه إلى الخبر المنشور . .

وقرأ « ممدوح » بصوت عال : غادر « القاهرة » فى طريقه



إلى « لندن » الدكتور « عمر عرفان » أستاذ أبحاث الذرة الكبير فى رحلة علمية !

قالت « هادية » : وما الغريب فى ذلك ؟

جلس « بهاء » على كرسيه وقال فى صوت مملوء بالتوتر : الدكتور « عرفان » صديق حميم للدكتور « سيف » بل يمكن أن نقول إنه صديقه الوحيد ، وبالرغم من فارق السن بينهما فإن صداقتهما كانت حميمة ، وقد نبغ الدكتور « عرفان » فى دراسته وتخصص فى الذرة وصار أستاذاً لا نظير له فى مصر . . وهو لا يتحرك حركة ولا يشترك فى مؤتمر إلا بعد استشارة الدكتور « سيف » ، وأنا أعلم أن كلا منهما على علم تام بأبحاث الآخر ، وهذا الخبر عن سفره يجعلنى أشك فى أنه قد سافر حقيقة ، لأنه لم يقم بزيارتنا هذا الأسبوع أو الاتصال بالدكتور « سيف » . .

هادية : ربما اتصل به وأنت غير موجود ؟

بهاء : لا . . فأنا الذى أرد على جميع اتصالات الدكتور أورسائله ، وأنا متأكد من أنه لم يقم بأى اتصال قبل الحادث .

محسن : هل تعتقد أن فى الأمر خطأ ما . . أو حادثاً آخر ؟

بهاء : ربما ، وخصوصاً أننى أعلم بعض الأسرار ، ولكنى لن أتحدث عنها قبل أن أتأكد من مسألة سفر الدكتور « عرفان » ، لأنها أسرار علمية خطيرة ، وليس من حقى الحديث عنها بدون مبرر . .

هادية : هل تعرف عنوان الدكتور « عرفان » ؟

بهاء : طبعاً . . إنه يسكن قريباً من هنا ، فى المنطقة نفسها ، لا يبعد عنا أكثر من عشر دقائق سيراً على الأقدام . . فهو أيضاً من عشاق الهدوء ، وقد اختار هذه المنطقة الهادئة ليقوم بأبحاثه فى هدوء واطمئنان . .

ممدوح : إذن ماذا ننتظر ، هيا بنا إلى منزله لنعرف الحقيقة !

هادية : انتظروا ، يجب أن نعرف أولا . . هل يسكن وحده ؟ . . أقصد هل سنجد فى المنزل أحداً من أسرته ؟

بهاء : لا يوجد فى منزله إلا خادم يصاحبه من أيام دراسته . . وهويشرف على كل شئونه . .

ممدوح : إذن هيا بنا . . فقد نجده ونستطيع أن نستفسر منه عن سبب سفر الدكتور . .

محسن : هذا إذا كان قد سافر فعلا . .

وهكذا قاد « بهاء » المجموعة فى طريقة إلى منزل الدكتور « عرفان » ، وعبروا شارعين خلف منزلهم حتى وصلوا إلى شارع ثالث . . كبير ، ولكنه هادئ تماماً ، به مجموعة من الفيلات الصغيرة على جانبيه ، وكان من الواضح أن المبانى كلها جديدة والشارع نفسه جديد ، وفى آخر الشارع توقفوا أمام « فيلا » صغيرة واضحة الأناقة ، وتقدم « بهاء » فدق جرس الباب . .

وبعد دقيقة على الأكثر فتح الخادم الباب ، كان كبير السن ولكنه نظيف المظهر ، يبدو وكأنه أحد أفراد الأسرة . . « بهاء » كان يعرفه جيداً . . حيّاه وقدم له أصدقاءه ، ثم سأله : عم « عوض » ، هل هذا حقيقى ؟ لقد قرأت اليوم فى الجريدة أن الدكتور قد سافر إلى الخارج . .

عوض : نعم . . لقد سافر فعلا بالأمس . .

بهاء : ولكنه لم يتصل بنا كعادته ، ولم يزر الدكتور « سيف » قبل سفره !

تردد عم « عوض » قليلا ثم قال : أعتقد أنه سافر فجأة ، فلم تكن فكرة السفر واردة عليه قبل ذلك !

محسن : ماذا ؟ هل سافر الدكتور فجأة ؟

عوض : نعم . . فهو لم يخبر أحداً — حتى أنا — بموعد سفره !

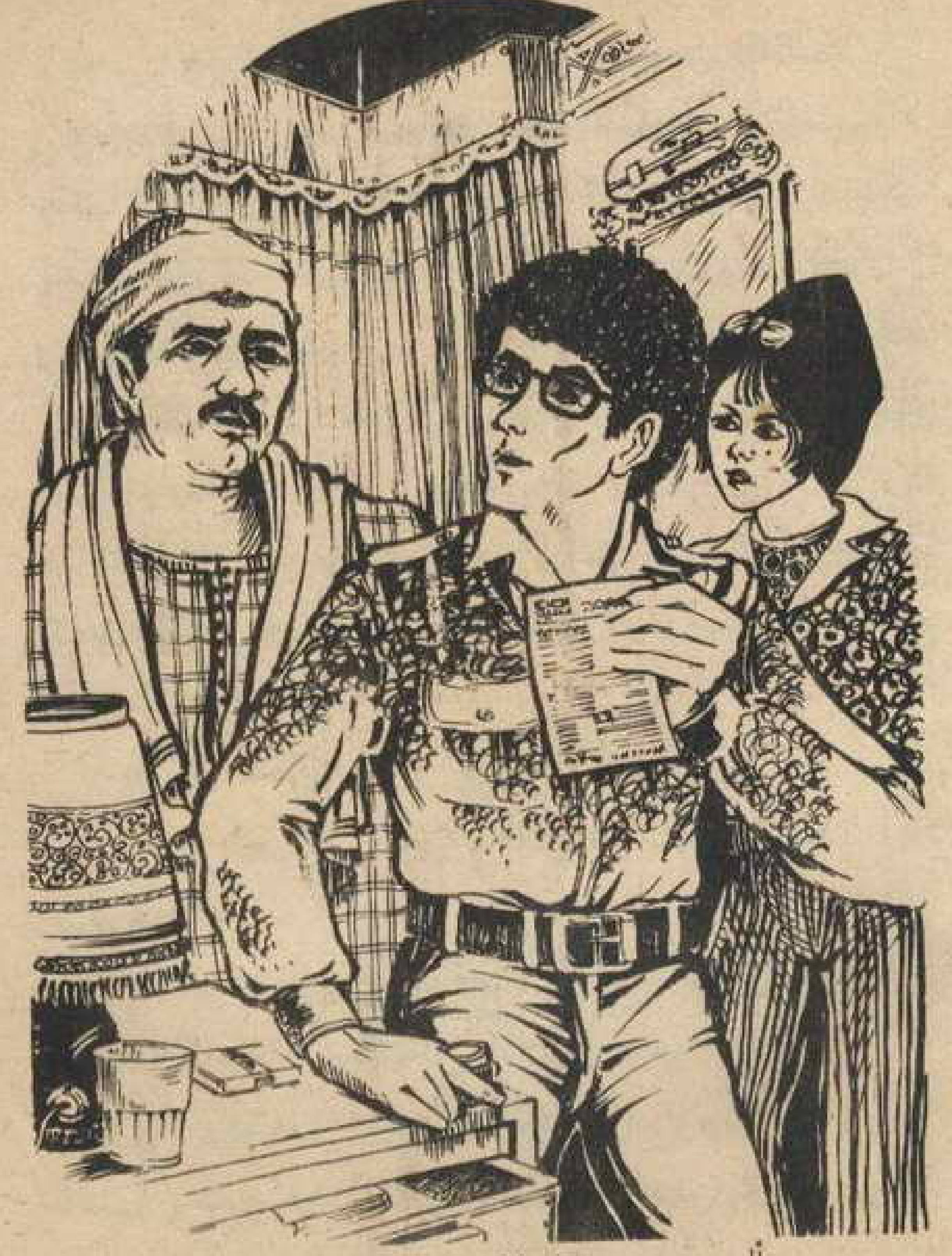
هادية : هل يمكن أن تصف لنا ياعم « عوض » ، متى سافر الدكتور وكيف أخبرك بسفره ؟

عوض : بل يسعدنى أن أخبركم . . . إنى لم أره عندما سافر ، ولم أعد له حقيبته كالعادة . . . إنها المرة الأولى فى حياته التى تصرف فيها هكذا . .

هادية : احك لنا بالتفصيل من فضلك ياعم « عوض » ، حاول ألا تنسى شيئا . .

عوض : ليس هناك شىء يمكن أن أنساه . . فبالأمس صباحاً وصلت سيارة ونزل منها ثلاثة أشخاص أعتقد أنهم أجانب وإن كان أحدهم يتحدث العربية بلغة واضحة جداً ، وطلب مقابلة الدكتور « عرفان » ، وقال إنهم من ضمن بعثة علمية ، وقد رحب بهم الدكتور ، وقدمت لهم عصير ليمون ثم خرجت إلى السوق . . وعندما عدت وجدت ورقة بخط الدكتور « عرفان » ، وأنا أعرف خطه جيداً ، وقد كتب فيها أنه سيسافر فى مهمة علمية عاجلة ، وطلب منى أن أطمئن عليه . .

وقد صعدت إلى غرفته فوجدت أنه قد أخذ ملابسه فى حقيبة صغيرة . . ثم خرج .



وسأل « محسن » : هل الدكتور « عرفان » مريض بالقلب ؟

محسن : هل من عادة الدكتور أن يسافر دائماً هكذا فجأة ؟

عوض : إطلاقاً . . لم يحدث هذا من قبل أبداً !

هادية : هل تعرف شكل العربة التى أتى فيها الضيوف ؟

عوض : نعم إنها عربة كبيرة أعتقد أنها « مرسيدس » سوداء . .

تبادل الأولاد النظر ، واصفر وجه « بهاء » . . وسألت « هادية » هل يمكن أن نرى غرفة ملابس الدكتور؟

عوض : نعم ! اتفضلوا . .

وصعد عم « عوض » إلى الطابق الثانى ووراءه الأولاد ، وكان المنزل بادى النظافة والذوق السليم . . ومروا فى ردهة صغيرة ثم فتح لهم عم « عوض » باب حجرة نوم الدكتور « عرفان » . .

دخلت « هادية » ونظرت فيما حولها . . كان الدولاب منظماً ومرتباً ، وكذلك أدراج الملابس . .

ولفت نظر « محسن » علبة من الدواء موجودة على « الكومودينو » المجاور لسرير الدكتور ، وأمسك « محسن » بالعلبة وقرأ المكتوب فى النشرة داخلها ، ثم استدار إلى عم

« عوض » وسأله : هل الدكتور « عرفان » مريض بالقلب ؟

عم « عوض » : لقد انتابته أزمة قلبية منذ ثلاثة شهور ، ولكنها كانت أزمة خفيفة جداً نتيجة لشدة الإجهاد ، ولكنه يحرص على نظام طبي خاص حتى لا تعاوده النوبة مرة أخرى !

وتبادل « محسن » و «هادية » النظرات . . ثم غادر الجميع الحجرة . . وقبل أن يودعوا عم « عوض » قبيل رحيلهم طلب « محسن » منه أن يتصل بهم إذا احتاج إلى شىء أو إذا اتصل به أحد غريب . . كما لم يفتهم أن ينظروا إلى صورة كبيرة للدكتور « عرفان » ، وينظروا إليها جيداً حتى انطبع شكله فى ذاكرتهم .

وما إن غادروا المنزل حتى استوقفهم « بهاء » وسألهم : هيه . . ما رأيكم ؟ . . هل تعتقدون أن الدكتور « عرفان » قد سافر حقًّا ؟

قال « محسن » بلهجة قاطعة وهو يشير إلى علبة الدواء التى احتفظ بها : لا . . مستحيل . إنى على يقين من أن الدكتور قد خطف ، وإلا فهل يمكن أن يترك المنزل برغبته رجل مريض بالقلب وينسى دواءه الذى يتناوله يوميًّا حتى يتجنب نوبات القلب المفاجئة ؟!

وسأله « ممدوح » : لماذا أخذت علبة الدواء ؟

محسن : أعتقد أننا سنحتاج إليها عندما نعثر على الدكتور « عرفان » !

بهاء : ولكن . . متى ؟ وكيف نعثر عليه ؟!

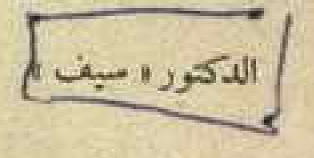
هادية : هذا يتوقف على الأسرار الخطيرة التى ستفضى بها إلينا يا صديقنا العزيز « بهاء » . .

* * *

أسرار خطيرة

حول المائدة فى حجرة « هادية » بالكوخ العجيب ، جلس الإخوة الثلاثة ، ومعهم « بهاء » . . على حين قبع « عنتر » تحت أقدامهم . . وساد الصمت الجميع فى انتظار ما سينطق به « بهاء » الذى ظهر عليه التردد ، وبدا كأنه لا يعرف كيف يبدأ . .





بهاء : سابدا قصتى من البداية ، قبل الحادث بثلاثة أيام خرجت مع الأستاذة « سامية » إلى محل « صيدناوى » وهو المحل الكبير الموجود بالدقى . . كانت تشترى بعض الملابس ومطالب المنزل ، وعندما وقفت لتدفع الثمن ، أخرجت كيس النقود وتركت حقيبتها بجوارها على طاولة البيع ، وكنت بعيداً عنها ألقى نظرة على قسم « الكرافتات » . . ولست أدرى كيف

حدث الأمر بهذه السرعة ، فبعد أن دفعت « سامية » النقود التفتت تبحث عن حقيبتها فلم تجدها ، وقد ذهلت للحادث وأسرعت تنادينى وبحثنا عن الحقيبة فى كل مكان ، فلم نجدها وكان أهم ما فى الحقيبة مفتاح الخزانة . . فخزانة الأبحاث لها مفتاح واحد فقط هو الذى تحتفظ به الأستاذة « سامية » ، وكان ضياعه معناه أننا لن نستطيع فتح الخزانة بدون الاستعانة بشخص من الخارج ، وكنا نخشى أن يطلب الدكتور ملفاً من الخزانة ، وخشيت « سامية » ، أن تضايقه بحكاية ضياع



المفتاح ، فأخفت خبر ضياعه عنه وفى محاولة أخيرة لاستعادة المفتاح كتبنا إعلاناً فى الجرائد به مكافأة كبيرة لمن يعيد المفتاح الأصفر مع الاستغناء عن كل ما فى الحقيبة من أموال أو غيرها .

هادية : ياه ! هذا هو الإعلان الذى قرأته وتصورت أن وراءه لغزاً مثيراً . . لقد كان إحساسى صادقاً . .

وواصل « بهاء » حديثه : وقد كتبنا فى الإعلان رقم صندوق بالجريدة ليرد علينا من معه المفتاح ، وفى يوم الحادث ، لم أكن - كما قلت فى تحقيق الضابط - بالمنزل ، إذ أننى فى الحقيقة كنت قد ذهبت إلى الجريدة لأرى ما إذا كان أحد قد أجاب على الإعلان ، وللأسف لم أجد رداً ، وقد عدت فى الثامنة تماماً لأكون موجوداً على مائدة الإفطار ، ولكنى لم أجد أحداً ، فدخلت حجرة المكتب لأجد المنظر الذى رأيتموه . . وهذا هو السبب فى دهشتى عندما قال الدكتور إنه قد نقل **الدوسيهات** ، قبل الحادث بيوم لأنه مستحيل الحدوث فقد كانت الخزانة مغلقة والمفتاح ضائعاً . .

وهنا كتبت « هادية » فى كراستها ملحوظة . .

واستمر « **بهاء** » : هذا هو السر الأول الذى أردت إخباركم به ، فمعناه أن الدكتور « سيف » يخفى أمراً ، لأن « الدوسيهات »

قد سرقت ولم ينقلها بنفسه كما قال . . أما السر الثانى فهو طبيعة الأبحاث التى انتهى منها الدكتور والأستاذة . . ومن المعروف أن الدكتور « سيف » كان طبيباً جراحاً ممتازاً ، ثم ترك الطب وتفرغ للأبحاث وتساعده ابنته ، وكانت آخر أبحاثه تتصل بالعقل .

لقد توصل إلى أن الذاكرة عبارة عن مادة سائلة تحيط بالمخ ، وفيها يحتفظ الإنسان بكل المعلومات والأفكار والذكريات وذلك خلافاً للرأى الطبى السابق الذى يعتبر الذاكرة جزءاً من المخ غير معروف مكانه بالتحديد .

وهذا هو الخطير فى الأمر . . فعن طريق هذا الاكتشاف سيمكن نقل الذاكرة من شخص إلى آخر . . بطريقة امتصاص مادة أو سائل الذاكرة بالإبرة من رأس شخص ونقلها إلى شخص آخر ، وهذا يعنى أنه يمكن أن ننقل ذاكرة عالم خطير بكل ما فيها من معلومات وفكر وثقافة إلى شخص آخر . .

كان الأشقاء الثلاثة يستمعون إلى هذا الحديث فى دهشة كبيرة غير مصدقين كلمة مما يقال . .

وأخيراً نطق « ممدوح » : ولكن . . هذا عسير التصور ، هل نجح فى إثبات هذه النظرية ؟

بهاء : نعم . . لقد أجرى تجاربه على الحيوانات ونجحت نجاحاً لا مثيل له ولا شك فيه ، ولذلك كان ينوى إخراج نظريته إلى الوجود بعرضها فى مؤتمر الطب العالمى الذى سيعقد قريباً فى « فرنسا » . .

ولم ينطق أحد . . وواصل « بهاء » الحديث الغريب : لذلك عندما علمت بخبر سفر الدكتور « عرفان » لم أصدقه . . فهو أولا على اتفاق للسفر مع الدكتور « سيف » بالإضافة إلى أخطر ما فى الموضوع . .

وتنهدت « **هادية** » : وهل هناك أخطر من ذلك ؟

بهاء : نعم ! أخطر من ذلك أن الدكتور « عرفان » قد توصل هو أيضاً إلى اكتشاف سلاح ذرى جديد ، وخطير ، بل لعله أقوى سلاح ظهر حتى الآن . . وكان ينوى أن يقدمه إلى الحكومة خلال هذا الأسبوع . . هل فهمتم الآن خطورة ما أقصد ؟

صاح « **محسن** » : إنه أخطر مما كنا نتصور . . هذا أخطر حادث صادفناه . . هل حقيقة ما حدث ؟!! سرقة أبحاث لنقل الذاكرة ، وارتباطها باختطاف عالم ذره توصل إلى اكتشاف سلاح خطير ! ولم يرد أحد . . كانت الصدمة أقوى

من كل رد . . كان الموضوع يحتاج إلى تصرف حاسم . . وسريع وكانوا غارقين فى دوامة لغز غامض . لا يعرفون له بداية من نهاية . .

قالت « هادية » وهى تكاد تبكى : يا إلهى ، لقد أصبحنا أمام واجب وطنى من الدرجة الأولى ، لقد مضى يومان على اختطاف الدكتور « عرفان » . . ونحن نعلم الآن ذلك وما زلنا جالسين لا نتحرك . كل ما نفعله كلام . . كلام . . كلام . .

قال « ممدوح » والغضب يفقده وعيه : يجب أن نتصرف فوراً . . أن نتحرك . . ما رأيكم فى الاتصال بالنقيب « حمدى » لكى نبلغه هذه التطورات ؟

بهاء : أعتقد أن هذه الخطوة غير مجدية ، فبما أن الدكتور « سيف » ما زال مصرًّا على أنكار الحادث ، فلا يمكن الشرطة أن تتدخل بصفة رسمية !

هادية : اسمعوا ! لقد حان الآن وقت الغداء ، وأعتقد أن والدينا فى انتظارنا ، علينا أن نذهب حتى لا يقلقا . . ثم يفكر كل واحد منا فى طريقة نبدأ بها . . وليكوِّن كل منا رأياً محدداً فى القضية ثم يعرضه بعضنا على بعض فى لقائنا فى

الساعة الخامسة !

كانت هذه هى المرة الأولى التى لم يستطع فيها « ممدوح » أن يلتهم طعامه كله . .

وعندما التفت حوله وجد شقيقته وشقيقه فى مثل حاله . . ونظرت إليهم والدتهم فى دهشة ، وهم يغادرون المائدة واحداً بعد الآخر ، وهزت كتفيها وقد أحست أنهم مشغولون كالعادة فى لغز جديد .

أما « هادية » فقد كان ذهنها مشغولا بفكرة غريبة ، فكرة جعلتها لا تقدر على الاستقرار لحظة واحدة فى مكان واحد . . أخذت تتجول فى الغرفة ، تدور وتدور وتنظر من النافذة إلى منزل العالم الدكتور « سيف » ، تفكر . . وتراجع أوراقها ، تنظر إليها لحظات فتتأكد فكرتها . . وتعود فتستبعدها ، ولكنها أخيراً لم تطق صبراً ، ولم تستطع الانتظار إلى الساعة الخامسة ، فاندفعت تفتح بابها لتذهب إلى شقيقيها فى حجرة نومهما ، ولكنها ما كادت تفتح الباب ، حتى اصطدمت « بمحسن » الذى كان بدوره يطرق بابها . .

وأسرع « محسن » بالدخول ، وأغلق الباب وهمس : « هادية » ، إن فى رأسى فكرة ، أريد أن أعرضها عليك ،

وآخذ رأيك فيها !

وكانت المفاجأة أنهما عندما تصارحا بما فى رأسيهما ، وجدا أن الفكرة واحدة . .

قال « محسن » : اسمعى . . يجب أن نصارح ممدوح بها . . فسنحتاج إلى مجهودنا كله إذا كانت هذه الفكرة صحيحة . . .

وقبل أن يتحركا . . اندفع « ممدوح » داخلا الحجرة . .

ممدوح : ماذا تفعلان وحدكما ؟ . . إنى أكاد أجن من غموض ما نحن فيه !

محسن : تعال فكر معنا . . لقد كدنا نصل إلى أول الطريق . .

والتفت الرءوس الثلاثة . . وبدأ « محسن » يشرح فكرتهما . . واتسعت عينا « ممدوح » من الدهشة . . وشيئاً فشيئا بدأ يظهر عليه الفهم . . ثم الاقتناع وصاح : يا إلهى . . كيف غابت عنى هذه الفكرة . . إنكما لعبقريان . . والآن ماذا ننتظر ، هيا نهاجمه ، ونقبض عليه !

محسن : لا . . انتظر ، يجب أن نجد الدليل ، وأن نستطيع الوصول إلى مكان العصابة والدكتور « عرفان » . .

هادية : الآن سنخطط لما يجب أن نفعل . . أولا : إن حلقة الاتصال الوحيدة ، أو الخيط الوحيد فى يدنا حاليًّا هو الدكتور « سيف » ، فالعصابة لا شك تحاول الاتصال به ، علينا أن نبعد « بهاء » عن طريقه ، سنرسله ليراقب بيت الدكتور « عرفان » ، ليظل بعيداً عن هنا . . وسنراقب الدكتور « سيف » مراقبة دقيقة منذ تحركه من غرفته ، سأتسلل أنا إلى الدور العلوى بحجة زيارة « ناهد » الممرضة ، وأراقب تحركاته فقد يتصلون به بطريقة ما . . أما أنت يا « محسن » فتراقبه فى الطابق الأسفل ، فى حجرة مكتبه بالذات ، والستائر الكثيفة كفيلة بأن تخفيك وراءها . .

ممدوح : وأنا سأقوم بالمراقبة فى الخارج طبعاً . . وأطمئنا ، لن أتركه يغيب عن عينى لحظة واحدة !

محسن : هناك أمر آخر مهم ، يجب ألا ننساه . . التليفون ، ربما تمكنوا من الاتصال به عن طريق التليفون علينا أن نعطله حتى يضطروا إلى الظهور . .

الحل أن أتسلل إلى المنزل ، ومن وصلة التليفون الأساسية سأفصل الأسلاك بعضها عن بعض ، وهذا العطل يصعب اكتشافه ، كما يحتاج إلى وقت طويل لإصلاحه . .

هادية : عظيم ، لقد بدأنا الخطوة الأولى . . والآن هيا . . لقد اقتربت الساعة من الخامسة . . تعالوا نذهب إلى الكوخ حيث يحضر « بهاء » للقائنا . .

كان « بهاء » قادماً فى اللحظة التى وصلوا فيها إلى الكوخ ، وكان وجهه قد ازدادا اصفراراً وظهر الضيق عليه بجلاء . .

قال له « **محسن** » : لقد قررنا أن نوكل إليك مهمة مراقبة بيت الدكتور « عرفان » مراقبة دقيقة طبعاً . . ما رأيك ؟

بهاء : هذه مسألة سهلة جداً . ما رأيك لو أقمت هذين اليومين فى داخل منزل الدكتور « عرفان » مع عم « عوض » ؟ إنه سيرحب بى بكل تأكيد . .

ممدوح : عظيم . . ويمكنك الاتصال بنا تليفونيًّا طبعاً . . إذا جد جديد . .

بهاء : وسأترك لكم رقم تليفون الدكتور « عرفان » حتى تتصلوا بى إذا أردتم !

هادية : على فكرة يا « بهاء » . . كنت أريد أن أستفسر عن شىء مهم . . هل تذكر البعثة الصحفية التى حضرت لتجرى حديثاً مع الدكتور « سيف » ؟ . . هل تذكر كم صورة التقطها المصور له ؟

بهاء : لا أعرف عدد الصور بالضبط ، لكنه التقط عشرات الصور من جميع الزوايا ، حتى لفت ذلك نظرى !

هادية : وهل كان الدكتور يجيب عن أسئلتهم كتابة !

بهاء : لا . . لقد سجلوا له الحديث على مسجل ، وقالوا إن كبار الصحفيين يفعلون هذا فى الخارج !

محسن : طلب أخير يا « بهاء » . . هل يمكن أن تحضر لى كتاباً أملس السطح ، يكون الدكتور « سيف » قد قرأه قبل الحادث . . على أن تمسكه من طرفه بحرص شديد !

وأطاع « بهاء » بدون أن يسأل أى سؤال ، كان من الواضح عليه أنه يعانى آلاماً نفسية قاسية . . وذهب إلى المنزل ، وأحضر كتاباً له غلاف من البلاستيك الشفاف وضعه على المائدة . . وابتسم له « محسن » شاكراً . . وبدون أن يتكلم كلمة أخرى ، حياهم بيده ، واندفع ليقوم بمهمته ، وفى عينيه ألم عميق !

ما إن توارى « بهاء » عن أنظارهم ، حتى دب فيهم النشاط فجأة . . أسرع « محسن » إلى أدواته ، وقال : سأبحث عن بصمات على هذا الكتاب ، سيكون فيها تأكيد لفكرتنا . . لو عثر على البصمات المطلوبة ، سنكون قد نجحنا فى حل اللغز !

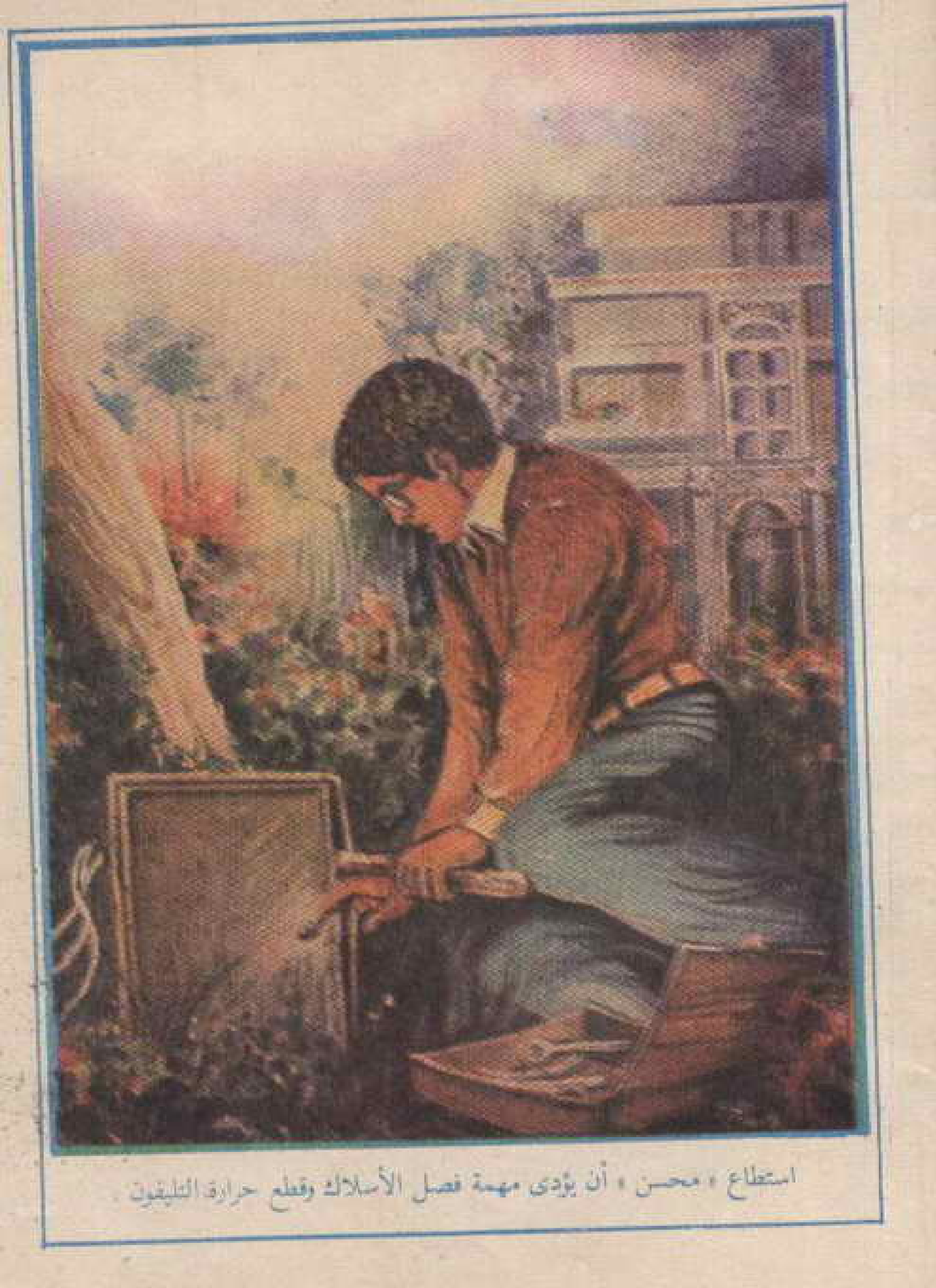
وتحت النظرات الملهوفة ، بدأ « محسن » يجرى تجربته ،

ينثر البودرة ويحضر ورق الطبع الأسود . . ومرت الدقائق ثقيلة ، وهو يعمل كالساحر . . فى كل جزء من غلاف الكتاب . . وأخيراً . . نجح « محسن » فقد التقط بصمة واضحة ، ثم ثانية وثالثة ورابعة . . وترك « محسن » الأدوات ، وأخذ يفحص البصمات . . بالمنظار المكبر . . ثم رفع رأسه وعلى وجهه ابتسامة واسعة . . ومد يديه ليصافح شقيقيه ، وقال : إننا على أول الطريق الصحيح . .

ممدوح صائحاً : إذن هيا . . لا داعى للانتظار !

هادية : فعلا ! الآن يجب أن يذهب كل منا إلى مهمته !

أسرعت « هادية » تعبر الطريق إلى منزل الدكتور « سيف » ، وكان الباب مفتوحاً بعد أن تركه « بهاء » كذلك بناء على طلبها ؛ وصعدت السلالم فى هدوء تام ساعدها عليه حذاء « الكاوتشوك» الذى لبسته ليساعدها على الحركة بدون صوت ، ووقفت على باب الدكتور واطمأنت إلى وجوده فى غرفته من صوت حركته وحفيف الأوراق التى يقرؤها ، فأسرعت إلى نافذة قريبة وأشارت إلى « محسن » الذى تسلل بدوره إلى سلك التليفون يتتبعه حتى وصل إلى مركز الأسلاك ، وبأدواته الرفيعة الخفيفة تمكن من أن يؤدى مهمته ، فيفصل الأسلاك ، ويقطع حرارة


استطاع « محسن » أن يؤدى مهمة فصل الأسلاك وقطع حرارة التليفون .

التليفون ، ثم أعاد كل شىء إلى ما كان عليه ، ومرة أخرى تسلل إلى غرفة المكتب ، وخلف الستارة الضخمة التى تنسدل على النافذة وراء كرسى المكتب تماماً ، ربض فى سكون تام . .

اصطحب « ممدوح » « عنتر » وبدأ يقوم برياضة الجرى التى يمارسها يومياً ، ويدور حول منزلهم ومنزل الدكتور ، دورة وراء أخرى ، و « عنتر » يتتبعه بغير عناء ، فقد كانت الخطوة الرياضية هادئة لا تضطره إلى بذل مجهود كبير لملاحقتها . .

وطرقت « هادية » باب غرفة الأستاذة « سامية » ، ثم دخلت ورحبت بها « ناهد » التى كانت تقرأ فى مجلة تقطع بها الوقت الطويل ، وشعرت « هادية » أن « ناهد » قد أسعدها حضورها ، فهى لا تجد من تتحدث معه طوال النهار . سألتها عن حالة الأستاذة « سامية » فاخبرتها أنها كما هى ، لم يطرأ عليها أى تغيير !

كانت « سامية » راقدة فى الفراش . . لا تتحرك ، لا يبدو إلا وجهها الهادئ الرقيق ، وذراعها التى امتدت بجانبها وقد ركبت بها حقنة التغذية التى يسيل منها إلى جسم « سامية » سائل « الجلوكوز » نقطة وراء أخرى . .

أخذت الفتاتان تتحدثان فترة . . وقالت « ناهد » إن

الدكتور « سيف » يأتى بين وقت وآخر ، وهو لا يتحدث إطلاقاً . .
إنما يجلس بجوار « سامية » يحدق فى وجهها . . ثم يجس نبضها
ليطمئن على حياتها . . ويمضى . .

وفجأة فتح الباب ، ودخل الدكتور « سيف » لم ينظر إلى
الفتاتين ، وإنما جذب كرسياً ، وضعه بجوار سرير « سامية » ،
وجلس يحدق فى وجهها . .

لف الصمت الغرفة ، لم تحاول أىّ من الفتاتين قطع الهدوء
المخيم عليهم ، وظلت « هادية » تراقب نظرات الدكتور
وحركاته . . ومضت الدقائق ، ولم يتململ أى واحد من
الموجودين وتحرك رأس الدكتور فجأة ، مال إلى الأمام ،
واشتد تحديقه فى وجه « سامية » ، تعجبت « هادية » واقتربت
بهدوء متسللة خلف الدكتور ، ونظرت بدورها ، كان الوجه
هادئاً كما هو ، ولكن حركة خفيفة فى الرموش . بدأت رموشها
تتحرك ، كمن يحاول أن يفتح عينيه ، ثم هدأت مرة أخرى . .

استمر الدكتور فى تحديقه ، و « هادية » فى وقفتها ،
ومرة أخرى ، تحركت رموش « سامية » حركة بسيطة ، مرة
ومرات . . ثم عادت إلى الهدوء . .

اندفع الدكتور واقفاً . . وأسرع يغادر الحجرة .

وسألت « هادية » بلهفة « ناهد » التى كانت تتابع الموقف ببساطة : هل أستدعى الطبيب ؟

ناهد : لا . . إنها حركة متوقعة . . وقد تتمكن أيضاً من فتح عينيها . . ولكن وقت عودتها إلى الوعى ما زال بعيداً ! لقد أخبرنى الطبيب بتوقع كل هذه الاحتمالات حتى لا أقلق مثلكما !

واستأذنت « هادية » وأسرعت خلف الدكتور « سيف » ووقفت وراء الباب ، وترددت هل تطرقه وتدخل ، ولكن كانت هناك حركة عصبية فى الداخل ، كان الدكتور يحاول استعمال التليفون الذى كان معطلا . . ويدق عليه دقات مرتفعة ، ولكن بلا فائدة وتمكنت « هادية » من الاختفاء فى آخر لحظة خلف أحد الأبواب ، قبل أن يندفع الدكتور خارجاً مندفعاً إلى السلم فنزله مسرعاً ، وتحرك إلى الباب الخارجى ولكنه عاد فتردد ، وكأنه يستشير أفكاره هل يغادر المنزل أو لا ؟ . . . وفى اللحظة الأخيرة عدل عن ذلك ، فدخل إلى حجرة المكتب .

هناك كان « محسن » ما زال فى مكانه وراء الستار . كاد يسقط من التعب لطول وقوفه ، وأخذ الدكتور يدور

فى الحجرة ويدور ، مرات ، ومرات عديدة . . وفى النهاية عاد يصعد السلم إلى أعلى فى خطوات متثاقلة . .

وفى حجرته ، حاول مرة أخرى تجربة التليفون بلا فائدة . .

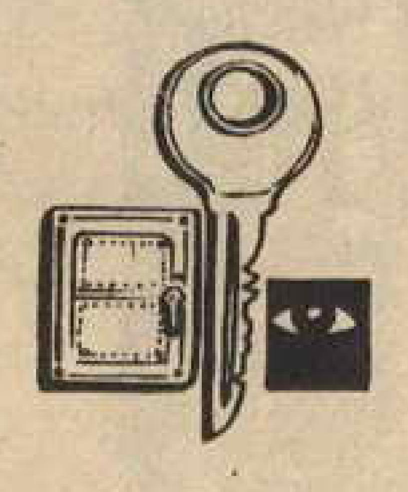
ومر الوقت بطيئاً بلا جديد . . وبدأ الظلام يخيم على الحى الهادئ تماماً . . شعرت « هادية » أنه لم يعد هناك فائدة من المراقبة ، فنزلت السلم بعد أن حيت « ناهد » وتسللت إلى المكتب ، فاصطحبت معها « محسن » وأسرعا بالخروج . .



وكان الدور الآن على « ممدوح » . . كان عليه أن ينتظر جولة الدكتور المسائية وأن يتتبعه من بعيد ، ويراقبه فى انتظار الرسالة التى لم تصل . .

فى الموعد المحدد تماماً . . لا . . بل قبله بدقائق ، خرج الدكتور « سيف » فى جولته الليلية ، وكان « ممدوح » فى الانتظار . سار وراءه وقد ترك مسافة تسمح له بمراقبته بدون أن يشعر به . . وكما حدث طوال النهار ، حدث فى المساء . . مضت الساعة كاملة والدكتور يمضى فى نزهته ولم يحدث أى شىء !

وعاد إلى بيته . . وعاد « ممدوح » إلى شقيقيه ، ومن نظراته ، شعرا بأن اليوم قد انقضى أيضاً بلا نتيجة . .



الليل الطويل

لعل هذه الليلة كانت أطول ليلة فى حياة أبطالنا الثلاثة . . حتى النوم ابتعد عن أجفانهم . فما يكاد يغمض لأحدهم جفن ، حتى يستيقظ فزعاً من أن يفوته حدث هام .

ومضى الليل والإخوة يراقبون منزل الدكتور من نافذتهم ، يتبادلون المراقبة ساعة وراء الأخرى ولكن حدث مالم يحدث . .



« محسن »

فى الصباح تناولوا إفطارهم بسرعة ، وذهبوا كما اتفقوا إلى أماكن المراقبة ، صاحبت « هادية » « ناهد » الممرضة ، واختفى « محسن » فى حجرة المكتب ، ووقف « ممدوح » ينظر بعينين كعينى الصقر خارج المنزل الساكن . .

لم يتخل الدكتور عن عادته ، جلس طوال الوقت بجوار سرير « سامية » ، وكلما طرفت عيناها مال عليها أكثر وأكثر ،



ظلت « سامية » راقدة ، تحيط بها « هادية » والممرضة « ناهد ».

وظهر عليها فى هذا اليوم وكأنها تريد أن تهمس بكلمة ما . . ولكنها لا تستطيع واشتد قلق الدكتور ، ثم طلب من « هادية » فى رجاء وبصوت هامس أن تبلغ مصلحة التليفونات لإصلاح التليفون ، ووعدته « هادية » بذلك على الفور . .

خرج الدكتور وجلست « ناهد » مكانه تنظر إلى « سامية » ، كانت شفتاها تحاولان أن تقولا شيئاً ولكنه غير واضح ، وركعت بجوارها « هادية » وقد قربت رأسها منها فى محاولة يائسة لسماع ما تقول . .

ناهد : لا تنتظرى شيئاً هاماً . . إنها تتفوه بين وقت وآخر بكلمات بدون وعى . . إنها لم تستعد وعيها بعد . .

هادية : هل فسرت كلماتها ؟

ناهد : لا . . أحياناً يخيل إلىّ أنها تريد أن تقول كلمة . . مستحيل . . مستحيل . . . !

هادية : مستحيل . . ترى ما هو هذا الشيء المستحيل ؟!

ناهد : لا تعلقى على هذه الكلمة . . إنه حديث بلا وعى !

هادية : ولكن أعتقد أنها تريد أن تقول شيئاً له معنى !

ومضى الوقت والدكتور « سيف » لا يغادر حجرته ، وكل ما زاد على تصرفاته أنه كان يرفع ستار النافذة أو ينظر قليلا إلى

الخارج ، ثم يعود إلى كرسيه ، حتى الغداء تناوله فى فراشه . . ثم طلب من الخادم الانصراف من المنزل .

ولكن أحداً من الثلاثة لم ييأس . . كانوا على يقين من أن انتظارهم له فائدة . .

وقد نجح انتظارهم . . فى الساعة السابعة تماماً ، وقد بدأ الليل والهدوء يلفان الحى الهادئ تماماً . وتكاد الحركة تنعدم فى الطريق ، كان الدكتور فى مكتبه وهو لا يعرف أنه تحت المراقبة ، و « ممدوح » و « عنتر » على باب منزلهم . . و « هادية » فى الطابق الثانى . . فجأة ظهرت السيارة السوداء . ووقفت على باب « الفيلا » . . ونزل منها رجل طويل القامة ، رفيع الوجه ، طرق الباب ودفعه فانفتح ، وقبل أن يدرك الدكتور ما حدث ويقوم من مكتبه ليفتح للطارق ، كان الرجل أمامه على المكتب وانحنى بلا تحية ولا مقدمات ، فوضع رأسه بجوار الدكتور وهمس له بعدة كلمات ، كاد « محسن » أن يجن ليسمعها بلا فائدة . .

ورفع الرجل رأسه واستطاع « محسن » أن يسمع صوت الدكتور وهو يتحدث هامساً مستجدياً ويقول : ولكنها على وشك أن تعود إلى وعيها !

أجاب الرجل بحسم : نفذ التعليمات تماماً كما وصلتك . . فى الثانية عشرة مساء تماماً . .

الدكتور : أرجوك . . اسمعنى . .

الرجل : ولا كلمة . . نفذ كما أمرت . . إلى اللقاء فى المساء . .

وكما حضر بسرعة . . انصرف بسرعة ! فى لحظات كان يخرج من المنزل ، ويقود السيارة بسرعة ويمضى . .

كانت « هادية » قد شعرت بالحركة ، انتظرت لحظات ، ثم أسرعت لتغادر الغرفة فى اللحظة نفسها التى كان الدكتور يدخل فيها ، توارت خلف الباب ، وسمعته يقترب من « ناهد » ولعلها كانت المرة الأولى التى يتبادل معها الحديث . .

قال **الدكتور** : إننى ألاحظ يا صغيرتى أنك تبقين طوال الليل والنهار بجوار « سامية » ما رأيك لو تبادلنا رعايتها ، سأبقى بجوارها أنا ليلاً !

ناهد : لا يمكن يا سيدى ! إنه عملى ، وإذا شعرت بالتعب ، فسأتصل بالطبيب !

الدكتور : لماذا ، إنها نائمة كما ترين . . ولا تحتاج لأية رعاية ! وسأبقى بجوارها سواء نمت أم بقيت !

ناهد : هذا حقك يا سيدى ، ولكنى لا أستطيع أن أتركها . .

هز الدكتور كتفيه وأسرع خارجاً . .

رفعت « هادية » يدها بالتحية إلى « ناهد » ثم أسرعت تتسلل عبر السلم إلى الخارج . .

وعلى باب منزلها كان « محسن » يقف لاهثاً ، وقص عليها ما حدث بسرعة . .

وسألت « هادية » : هل رأيت وجه الرجل ؟

محسن : طبعاً ، لقد نظرت خلال شق رفيع جداً فى الستارة ، وقد انطبع شكله تماماً فى ذاكرتى . .

هادية : هذا حسن . . ترى أين « ممدوح » و« عنتر » الآن ؟

محسن : لست أدرى ، وإن كنت أتوقع طبعاً أنهما يتبعان السيارة !

هادية : ما رأيك فى الرسالة التى أبلغها الرجل للدكتور ؟

محسن : لا أعرف ، أنا لم أسمع نص الرسالة ، ولكن الموعد فى الثانية عشرة مساء معناه أنه ينوى إنهاء مغامرتهم الحقيرة . .

هادية : إذن يجب أن نسبق نحن فوراً . . يجب أن تكون حركتنا أسرع . .

محسن : هذا يتوقف على « ممدوح » هل يتمكن من معرفة مقر العصابة ، أو على الأقل هل يعرف رقم السيارة واتجاهها !

ولم تمض أكثر من ساعة ، وهما فى هذا الانتظار ، حتى ظهر « عنتر » فى أول الشارع وهو يطلق نباحاً صارخاً ، وفى لحظات وصل إليهما ، كان يقفز ويدور حول نفسه كالمجنون . . ينبح وينبح ، ثم يجرى إلى أول الطريق ويعود إليهما ، وكأنه يطلب منهما أن يتبعاه .

نظرت « هادية » إلى شقيقها فى قلق وسألته : ترى أين « ممدوح » ؟

أشار « محسن » إلى عنتر » : هو وحده الذى يعرف . . وأظن أنه يدعونا إلى أن نتبعه إلى حيث يوجد « ممدوح » . .

ركعت « هادية » على ركبتيها وأخذت تربت على ظهر « عنتر » مهدئة ، حتى انخفض صوت نباحه ، ولكنه ظل يدور حول نفسه كالمجنون . .

قال « محسن » : سأستأذن من والدتى فى أننا سنذهب فى نزهة طويلة فى هذا الجو الجميل حتى لا تقلق علينا . . ثم أحضر بعض الأدوات التى قد نحتاج إليها ! فمن يدرى ، كيف

نستطيع الوصول إلى « ممدوح » ؟ وماذا يقابلنا إذا وصلنا إليه ؟

هادية : أعتقد أنه قد قام بأحد أعماله المتهورة كالعادة ؟

ولم يكن ظن « هادية » مخالفاً كثيراً للحقيقة ، فقد كان « ممدوح » يقف فى الطريق أمام منزلهم يراقب الدكتور « سيف » عندما وصلت السيارة السوداء . . ونزل منها الرجل وتوجه إلى المنزل ، لم ينتظر « ممدوح » ، ولم يفكر كثيراً ، همس فى أذن « عنتر » أن يتبعه ، ثم أسرع إلى السيارة ، ورفع باب حقيبة السيارة الخلفية ومن حسن حظه أنه كان مفتوحاً ، وأسرع يدخل فيه ، وأغلقها عليه بإحكام . . والتزم الهدوء التام . .

بعد لحظات ركب الرجل العربة ، وانطلق بها . . وكان « ممدوح » متأكداً من أن « عنتر » يتبعه ، وخصوصاً أن السيارة تسير بسرعة عادية ، وتأكد « ممدوح » أنه قد سار مسافة قصيرة ، فلم تنقض أكثر من عشر دقائق عندما توقفت السيارة ، وسمع صوت باب كأبواب « الجراجات » يفتح ، ودخلت السيارة ثم أغلق الباب وراءها بسرعة . . وتمنى « ممدوح » أن يخرج الرجل بدون أن يشعر به ، ولكنه سمعه يتحدث إلى رجل آخر . . ولم يسمع ماذا يقولان . . وبعد لحظات شعر بأن الرجل يقف أمام حقيبة السيارة ثم امتدت يد

الرجل وفتح الحقيبة . .

وأذهلت المفاجأة الاثنين . كاد الرجل يصرخ وهو يشاهد صبياً قابعاً فى حقيبة السيارة . . أما « ممدوح » فقد كاد يتجمد الدم فى عروقه من المفاجأة . .

وامتدت يد الرجل فأخرجته من الحقيبة ، وسأله فى قسوة : من أنت ولماذا أتيت إلى هنا ؟

ولم يرد « ممدوح » . . لم يعرف حتى ماذا يقول ، ففضل الصمت !



وتقدم الرجل الآخر ، كان قويًّا كالمصارع . . وفكر « ممدوح » فى أن يهاجمهما ، ولكنه شعر أنه لن يستطيع أن يتغلب عليهما معاً ، وفضل أن ينتظر ماذا سيحدث . .

هز المصارع « ممدوح » مرة أخرى وسأله بقسوة : لماذا أتيت إلى هنا ؟

أجاب « ممدوح » : أنا الذى أسألك ماذا تفعل هنا ؟

وأذهلت جرأة « ممدوح » الاثنين . . ونظر سائق السيارة بشدة إليه ثم قال : يخيل إلىّ يا « يوسف » أنه الولد نفسه الذى أفسد اتصالنا تلك الليلة فى المساء . .

وببساطة وسهولة وبراعة تامة ، تقدم من « ممدوح » وفى يده حبل رفيع ، وفى لحظات كان قد قيده بقيد متين . .

يوسف : اصعد به إلى أعلى . . سنقوم بتخديره تخديراً خفيفاً حتى ننتهى من مهمتنا ، ثم نرى ماذا نفعل به . . فلا وقت لدينا . .

كان « ممدوح » يسمع صوت نباح « عنتر » فى الخارج . . كان أمله الوحيد أن يهاجم المعتدين عندما يراه مقيداً بينهما . . ولكن أمله خاب للمرة الثانية ، فلم يخرجوا من باب « الجراج » . . وإنما فتح « يوسف » باباً فى الحائط

الداخلى ، فإذا بهم يدخلون إلى سلم رفيع مظلم ، ودفعه أمامه فصعد . لم يعرف أين . . كان يسير فى ممر طويل ليس به شعاع ضوء واحد . . ثم فتحوا باباً ودفعه « يوسف » إلى داخل حجرة ، ثم دفعه مرة أخرى ليجد نفسه ساقطاً فوق سرير من أسرة المستشفيات . . وتركه المصارع فى حراسة « يوسف » وغاب قليلا . ثم عاد ومعه رجل ثالث ، وأضاء له ببطارية خافتة الجزء الذى يجلس فيه « ممدوح » ، ثم أمسك « يوسف » بذراعه ، وقيده المصارع بيديه القويتين . أما الثالث فقد اقترب منه ، ولم ير « ممدوح » شيئاً . شعر فقط بجسم ينغرس فى ذراعه . . وفى لحظات ضاع فى غيبوبة تامة . . وكان آخر ما سمعه نباح « عنتر » من بعيد . .

وهكذا أصبح « عنتر » هو همزة الوصل الوحيدة بين « ممدوح » فى سجنه الغريب وبين العالم الخارجى . .

نبح « عنتر » حتى تعب . . لم يظهر « ممدوح » ، ولم يظهر أحد آخر . وكان الكلب المخلص يعرف طريقه جيداً ، فهو قصاص أثر لا يشق له غبار ، استدار ، ونبح نبحة أخيرة ، وأسرع فى طريقه إلى « هادية » و« محسن » ، وكان نباحه هو التعبير الوحيد الذى يستطيع أن يعبر به لهما عن طلبه بأن يتبعاه . .

* * *

طبعاً لم يعرف « محسن » ولا « هادية » ماذا حدث « لممدوح » كل ما استطاعا فهمه أن « عنتر » يدعوهما ليتبعاه .

وقطع « عنتر » شارعاً من بعد الآخر ، ماضياً وسط مدينة المهندسين الهادئة ، متأكداً تماماً من طريقه ، وفى أحد الشوارع الواسعة توقفت « هادية » وهى تشير إلى أحد المنازل وقالت : أليس هذا منزل الدكتور « عرفان » ، ما رأيك لو اصطحبنا معنا « بهاء » فقد نحتاج إلى مساعدة .

محسن : معك حق . . انتظرى قليلا !

وقفت « هادية » وأمسكت « عنتر » حتى لا ينطلق وحده ، وهو يكاد يجن لا يفهم معنى للانتظار ، وفى دقائق قليلة عاد « محسن » ومعه « بهاء » الذى مضى معهما فوراً و « محسن » يشرح له اتجاههم خلال الطريق . .

نصف ساعة كاملة مضت ، وهم يجرون خلف « عنتر » ، حتى انتهت الضاحية ووجدوا أنفسهم فجأة أمام المزارع الواسعة . . ولم يتوقف الكلب المخلص ، مضى يقودهم وسط الطريق الممهد بين المزارع حتى توقفوا فجأة أمام مبنى كبير ، لم يستطيعوا تحديد



لونه فقد كان الظلام التام يخيم على المنطقة . .

وانحنت « هادية » تربت على ظهر « عنتر » حتى لا ينبح ، ووقفوا أمام سور كبير يحيط بحديقة تحيط بالمبنى . .

همست « هادية » : هل يعرف أحدكما هذا القصر ؟

قال « بهاء » وهو يهمس أيضاً : إنه ليس بقصر ، ولكنه مستشفى كبير ، أعده أحد كبار الأطباء ليديره بنفسه ، ولكنه توفى قبل أن يفتتحه بعد أن أتم إعداده ، وقد عرضت أسرته المستشفى

للبيع ، ولكن أحداً لم يشتره حتى الآن لارتفاع ثمنه . .

فى الوقت نفسه كان « محسن » يخرج بعض معداته ، ومنها أعد سلماً متيناً من الحبال ، ووقفوا ينظرون إليه وهو يثبت فيه خطافاً حديدياً ، وبحركة رشيقة ، قذفه ليثبت الخطاف فى السور . .

محسن : سأصعد الآن . . وتتبعنى « هادية » ثم « بهاء » حاملاً « عنتر » أما القفز من فوق السور فهو سهل . . وواضح أن فى الداخل حديقة ، ستكون أرضها رخوة !

وفى لحظات تسلق الحبل وعندما وصل رأسه إلى ارتفاع السور ألقى نظره أسفله فلم ير شيئاً ، كان الظلام دامساً . . لكن شيئاً لم يلفت نظره فرفع نفسه وجلس فوق السور . . ثم قفز . .

وفى لحظات تبعته « هادية » ، وتلقفها « محسن » . . ثم « عنتر » و « بهاء » !

وتسلل الجميع يخترقون الحديقة متسترين بالأشجار ، وبحرص تام حتى لا تدل عليهم خطواتهم وصلوا إلى مبنى المستشفى . .

كان الدور الأول يرتفع عن الأرض قليلا كما هى عادة المستشفيات ، ويحيط به شرفة واسعة تفتح أبوابها على حجرات

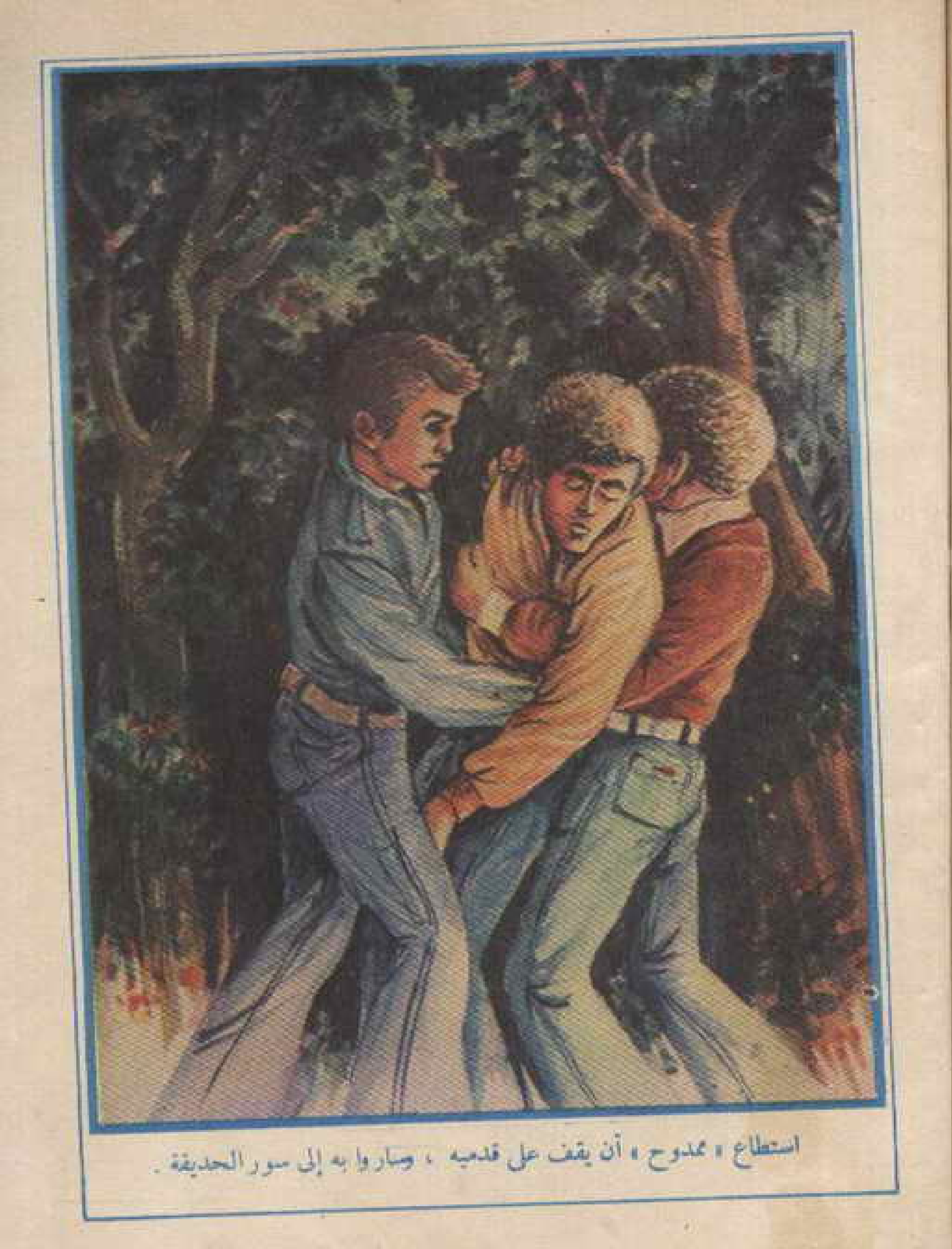
المرضى . . ولكن الغريب أنه لم يكن هناك ظل لأى ضوء يدل على وجود حياة بالمستشفى . . حتى انتاب القلق « هادية » ، وتساءلت فى نفسها هل قادهم « عنتر » إلى الطريق الصحيح فعلا ؟ !

وهمس « محسن » فى أذنها : انتظرونى هنا ، سأدور حول المستشفى باحثاً عن أثر « لممدوح » . .

ومضت لحظات هائلة . . كانوا يمسكون أنفاسهم ، فلا أحد يعرف ماذا يخفى الظلام ، وكادت « هادية » تصرخ حين شعرت بيد توضع على كتفها ، ولكنها اكتشفت أنه « محسن » حين وجدته يهمس : الظلام يحيط بكل المستشفى ، ولكن خيل إلىّ أنى رأيت تحت أحد الأبواب خطاً من الضوء ، وهو الضوء الوحيد فى المكان كله . . اتبعونى بهدوء . .

تسللوا إلى الشرفة ، بعد أن تركوا « عنتر » للحراسة وحماية ظهورهم ومضوا و « محسن » فى المقدمة ، ودار حول المستشفى ، وفى آخره أشار إلى الأرض . . كان هناك خيط رفيع من الضوء يظهر من تحت باب عريض . .

وضعت « هادية » أذنها على ثقب المفتاح ، ثم اعتدلت فى وقفتها وهمست : هناك أصوات تتحدث بالداخل ولكنى


استطاع « ممدوح » أن يقف على قدميه ، وساروا به إلى سور الحديقة .

لا أستطيع أن أفسر الكلمات ، يبدو أن الستائر المسدلة على الباب كثيفة جداً . .

كان « بهاء » فى ذلك الوقت يتلمس الباب حتى وصل إليه ، والتصق بالحائط ووجهه إلى الداخل ، ثم جذب « محسن » وأوقفه مكانه . .

اكتشف « بهاء » أن الستائر قد تركت شقًّا خفيفاً فى آخر الباب الزجاجى ، ومنه نظر ليجد شخصاً يتحدث وظهره إلى الباب ، لم يسمع كلامه ، ولكن كان من الواضح أنه يخاطب أشخاصاً بعيدين عن المنطقة التى تسمح بالنظر إليها من خلال الشق الرفيع . .

وهمس « بهاء » فى أذن « محسن » : إننى أعرف هذا الرجل ، إنه الصحفى الذى زار الدكتور « سيف » !

محسن : كنت متأكداً من ذلك ، والآن يجب أن نتصرف لنعرف ماذا يقولون . . وماذا يفعلون !

هادية : يجب أن نجد طريقة للدخول . .

محسن : سأبحث وأحضر إليكم حالا . .

ولم تمض أكثر من لحظة حتى عاد « محسن » مسرعاً وهمس قائلاً : اتبعونى ، إن باب الشرفة المؤدى إلى الصالة مفتوح !

وأسرعوا إلى الباب . . وبهدوء تام تسللوا إلى داخل الصالة التى كانت تتوسط الحجرات فى شكل دائرى . . وظهر واضحاً أن هناك باباً ينبعث منه ضوء واضح . . كان الباب غير محكم الإغلاق . . وكأن من فيه مطمئنون إلى أنهم فى مأمن من أى خطر . . ساروا بجوار الحائط حتى اقتربوا من الباب . . وهنا كانت الأصوات واضحة ، وسمعوا الحديث كاملا . .

صوت : مازلت غير مطمئن . . هل تعتقد أن « سيف » سيوافق على الاشتراك فى العملية ؟

صوت ثان : أنا متأكد من ذلك ، فهو يحب ابنته حباً ليس له مثيل . .

صوت ثالث : ولكنه ما زال يرفض حتى الآن !

الصوت الأول : إن تهديدنا له بالقضاء عليها فى الساعة الثانية عشرة تماماً سيضطره للموافقة . .

الصوت الثانى : مازلنا فى التاسعة ، الباقى ثلاث ساعات كاملة !

الصوت الأول : الوقت يمضى سريعاً على كل حال . . على فكرة متى يفيق الصبى الذى تبعنا .

الصوت الثانى : أعتقد أنه على وشك الإفاقة ، ولكنه

مقيد جيداً ، وهو بعيد عن هنا ، لن يسمع ولن يرى شيئاً ! إنه فى آخر حجرة فى الجناح الثالث .

الصوت الثالث : متى تذهب لتراه ؟

الصوت الثانى : بعد أن أطمئن على سير العملية ! أنت تعرف أننى لا أتحمل كثيراً رائحة المخدر .

الصوت الأول : على ذكر المخدر ، هل كل شىء مجهز فى حجرة العمليات ؟

الصوت الثانى : تمام التجهيز . . ولولا أنك تصر على أن نبدأ فى الثانية عشرة لبدأنا فوراً !

الصوت الأول : إننى أفضل أن نكون مطمئنين تماماً إلى كل خطوة ، إن « جاك » ، وهو طرف مهم فى العملية تحت علاج نفسى خاص تماما كما ذكر « سيف » فى أبحاثه ، ولن يكون مستعدًا قبل الثانية عشرة . . وبعد عشر ساعات طويلة تنتهى العملية ، يظهر أثرها بعد يوم كامل . . ثم تنطلق بنا الطائرة . .

وارتفع ضجيج من ضحكات الانتصار . .

مد « محسن » رأسه بجرأة غير عادية خلال فتحة الباب الرفيعة ، وتجول بنظراته فى الغرفة ، ثم استدار وجذب « هادية » و « بهاء » ، وخرجوا مرة أخرى إلى الحديقة . .

وهمس « محسن » : لقد سمعنا ما فيه الكفاية . . إنهم يجلسون فى غرفة صغيرة ملحقة بحجرة العمليات . . وأمامنا ثلاث ساعات كاملة نتصرف فيها قبل أن تبدأ العملية . . وطبعاً فهمتم ما يقصدون . . إنهم سينقلون ذاكرة الدكتور « عرفان » إلى الشخص المدعو « جاك » وهم يهددون الدكتور « سيف » حتى يشترك فى إجراء العملية !

هادية : يجب أن نتحرك فوراً ! لنبدأ بالبحث عن « ممدوح » إنهم يقولون إنه فى الجناح الثالث !

بهاء : اتبعونى إننى أعرف نظام المستشفيات جيداً ، وأعرف أين يقع الجناح الثالث وقد سبق لى أن زرت هذا المستشفى بالذات مع الدكتور « سيف » الذى كان يفكر فى شرائه !

وداروا دورة كبيرة حول الحديقة ، حتى وصلوا إلى الجهة المقابلة ثم تسلقوا الشرفة ، ومد « محسن » يده يختبر الباب المؤدى إلى الصالة ، فإذا بالباب يستجيب له ، وينفتح بسهولة ، تسلل الثلاثة وهمس « بهاء » : ترى فى أية حجرة تركوه ؟

لم يرد « محسن » . . وإنما أجال نظره فى المكان . . كان الظلام مخيماً تماماً ، لاصوت ولا حركة ، أخرج بطاريته الصغيرة ، وغطى ضوءها بيده ، حتى لا يخرج منها إلا شعاع

ضئيل ، ثم أدارها حوله . . كانت الصالة واسعة . حولها حجرات من كل جانب . .

محسن : « هادية » . . معك بطاريتك ، جربى حجرات النصف الأيمن ، وسأجرب الحجرات التى على اليسار . .

وقبل أن تمد « هادية » يدها لتفتح الباب ، سمعت آهة واضحة ، سمعها الجميع معها ، أسرعوا إليها ، وفتحت الباب ، وكان « ممدوح » راقداً يهز رأسه يميناً ويساراً ، وأخذت آهاته ترتفع وقد بدأ مفعول المخدر يذهب عنه ، وأسرع إليه شقيقاه وأغلق « بهاء » الباب ، ووجهت « هادية » ضوء البطارية إلى « ممدوح » . . واطمأنت إلى أنه سليم تماماً وأسرع « محسن » يفك قيوده ، وبسرعة ودراية أحضر « بهاء » قطعة كبيرة من القطن ، وبللها بالماء وبدأ يضعها على وجه « ممدوح » ويربت على خديه بصفعات حانية . . حتى بدأت نظراته تستقر ، وتتعرف على الوجوه التى حوله . . أغمض عينيه وسأل : أين أنا ؟

هادية : أنت فى المستشفى الذى سجنك فيها المجرمون . .

ممدوح : لقد حقنونى بالمخدر !

محسن : حاول أن تساعدنا ، أن تجلس وتتحرك ، يجب أن نخرج من هنا سريعاً إن الوقت يمضى بسرعة . .

تأوه « ممدوح » . . ثم جلس ، وهو يهز رأسه الثقيل من تأثير « البنج » . .

وهمس « بهاء » : إن الهواء فى الخارج سيساعده على استعادة وعيه بسرعة أكثر . .

واستند « ممدوح » إلى ذراع « بهاء » . . وبدأ يسير ، و« هادية » تضئ لهم الطريق بشعاع رفيع من البطارية . .

محسن : إننا نستطيع أن نتحرك هنا بأمان . . فهم بعيدون عنا .

هادية : إلا إذا فكروا فى التفتيش عن « ممدوح » . .

ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، وتمكنوا من الخروج من مبنى المستشفى بهدوء ، وساعدوا « ممدوح » فى القفز من سور الشرفة إلى الحديقة ، وساروا حتى وجدوا شجرة كبيرة فجلسوا تحتها ، واستند « ممدوح » إلى جذعها ، وقد بدأ يعود إلى كامل وعيه رويداً . . رويداً على حين ذهب « بهاء » ليراقب غرفة العمليات حتى لا يحدث أى حادث طارئ .

مضت ساعة تقريبـــاً ، حتى أفاق « ممدوح » وأصبح قادراً على الحركة وتبادل الحديث ، فشرح لهم ما حدث له بالتفصيل . . وقص عليه « محسن » كل ما توصلوا إليه ، وأخيراً اتفقوا على أن يذهب « ممدوح » وحده ويصطحب « عنتر »

معه إلى النقيب « حمدى » وأن يستدعيه بعد أن يشرح له كل
شيء . .قبل أن تبدأ العصابة فى إجراء العملية . .

ولم تنس « هادية » أن تلقى إلى « ممدوح » بعض التعليمات
الأخرى . . وسار معه « محسن » حتى وصلوا إلى مكان سلم
الحبال ، ثم رفع « ممدوح » على كتفيه حتى قفز إلى السور ،
ونزل على السلم ، وارتفعت نبحة « عنتر » ، نبحة سعيدة ،
واطمأنت « هادية » .

أسرعا يلحقان « ببهاء » فوجداه بالقرب من غرفة العمليات ،
ملتصقاً بالحائط بشدة فقد كانت فتحة باب الغرفة المضيئة قد
اتسعت ، وانتشر الضوء فى الصالة . .

التصقا بالحائط هما أيضاً . . وقد شعرا بالخطر يقترب . .
ونظرت « هادية » إلى ساعتها الصغيرة فى ضوء البطارية ،
كانت قد تجاوزت الحادية عشرة الآن . . وبدأت الدقائق
تسير ببطء فى اتجاه الثانية عشرة . .

دقيقة وراء الأخرى . . والسؤال القلق المثير يدق فى
رءوسهم جميعاً ، هل سيتمكن « ممدوح » من إحضار الشرطة
فى الوقت المناسب . . أو أنه ما زال متعباً من تأثير البنج . .

وبدأت حركة فى الغرفة ، سمعوا صوت « يوسف » : املأ

الساعة حتى نسمع دقاتها أريد أن أعرف الوقت بالضبط خلال
إجراء العملية !

صوت ثان : إنه ما زال يرفض . .

يوسف : أحضره هنا . .

وفتح أحدهم الباب المؤدى إلى غرفة العمليات . . وعاد
ومعه شخص . .

يوسف : « سيف » سوف تشترك فى العملية ، إننى أستطيع
أن أقوم بها طبقاً للخطوات المكتوبة فى أبحاثك ، ولكنك إذا
لم تساعدنى سأضطر إلى إصدار الأوامر بالقضاء على ابنتك !

صوت : لا يمكن . . لا يمكن . . يا مجرمون . . يا جواسيس.

وهمس « بهاء » : إنه . . إنه صوت الدكتور « سيف » !
متى أحضروه إلى هنا ؟!

وضغط « محسن » على يد « بهاء » ليصمت . .

يوسف : للمرة الأخيرة . . لو رفعت سماعة التليفون سيكون
أمراً بالقضاء على « سامية » !

ولم يرد الدكتور « سيف » . .

يوسف : هيا بنا ادخل ، واستعد . .

وبدأت حركة . . شخص يذهب وآخر يجىء . . واشتدت

رائحة الأدوية . . ورائحة أدوات التعقيم . . واشتد الضوء داخل الحجرة . . وخيم الصمت على الغرفة الخارجية . .

هادية : لقد دخلوا جميعاً إلى غرفة العمليات . .

ولم يرد « محسن » . . تسلل واقترب من باب الحجرة ، كانت خالية . . شعر بالجرأة فجأة ، فدخل . . ووجد باب حجرة العمليات قريباً منه ، اقترب ووضع وجهه على الجزء الصغير الزجاجى . . وظهرت أمامه حجرة العمليات كاملة . .

الدكتور « عرفان » نائم على سرير العمليات . . وبجواره سرير آخر عليه شخص ثان . . كان هو بلا شك المدعو « جاك » . . وثلاثة فى ملابس بيضاء ظهورهم إلى الباب يجهزون بعض المعدات . . والدكتور « سيف » جالس على كرسى وعلى وجهه علامات الانهيار الشديد . .

وفجأة . . رنت دقة عالية . . أعقبتها صرخة . . فاجأت دقة الساعة العالية « هادية » — التى استغرقت فى السكون التام والظلام المحيط بها — فأطلقت الصرخة . . وفى الحال تحرك الرجال الثلاثة . . أسرعوا إلى الباب ، ولم يتمكن « محسن » من الاختفاء فى الوقت المناسب . . فوجد نفسه فى مواجهة العصابة . .

ولكن ولدهشته الشديدة . بدلا من أن يهجموا عليه ، وجدهم يقفون فى أماكنهم مذهولين . . وكأنهم رأوا شبحاً . .

وأشار « يوسف » إليه وكأنه أمام ظاهرة مذهلة : لقد . . لقد قيدته بنفسى ، وأدرك « محسن » ما عجزوا عن فهمه ، لقد تصوروا أنه « ممدوح » .. شقيقه التوءم . .

وتصرف بسرعة . . بدلا من أن يهرب . . انطلق يهاجمهم وهو يطلق صرخات عالية أصابتهم بالرعب . . كانت المفاجأة أقوى منهم ، وفى اللحظة نفسها ، اندفعت « هادية » و « بهاء » إلى داخل الغرفة !

تصرفت « هادية » بذكاء ، صاحت فى « بهاء » : النور . . النور . .

وأسرع « بهاء » إلى طاولة الكهرباء بجوار الباب فنزع فيشاتها فساد الظلام التام ، فى اللحظة التى أغلقت فيها « هادية » باب الحجرة بالمفتاح . .

وصاح « محسن » فى صوت رهيب : لا تتحركوا من أماكنكم . . المكان كله محاصر . .

وسمعوا صوت تخبطهم فى الظلام . . وأضاءت « هادية » البطارية ، وبسرعة عرفت مكان الدكتور « عرفان » وأسرعت

إليه ، عثرت على مقص جراحى ، وعلى ضوء بطاريتها فكت قيوده . .

واشتد صخب العصابة وهم يبحثون فى جيوبهم عن بعض عيدان الكبريت ويتحدثون بلغة غير مفهومة . . ويصطدمون بما حولهم من أثاث بحثاً عن الباب . .

وقبل أن يفكر الأولاد فى الخطوة الجديدة ، ارتفع صوت نباح « عنتر » .

وصاحت « هادية » : لقد وصلوا . .

وأشعل « محسن » بطاريته . . ووجهها إلى وجه أحد رجال العصابة وصاح منتصراً :

لا تتحركوا !

وصاحت « هادية » : نحن هنا . .

وسمعت صوت أظافر « عنتر » وهو يحاول فتح الباب . .

هادية : افتح يا « عنتر » . . اكسر الباب . .

واصطدمت ساق قوية بالباب فانكسر . . وسمعوا صوت النقيب « حمدى » وهو يلقى بتعليماته إلى الجنود ويقول : أشعلوا البطاريات . .

وملأ الضوء غرفة العمليات . . وأشار « محسن » إلى رجال العصابة الذين وقفوا بلا حراك . .



وتقدم رجال النقيب « حمدى » فوضعوا الحديد فى أيديهم ، قبل أن يتمكنوا من المقاومة !

وأسرع « محسن » إلى الدكتور « عرفان » ، كان يجلس على مائدة العمليات وعلى وجهه علامات العناء الشديد ، فمد « محسن » يده إلى جيبه وأخرج الدواء وقدمه إلى الدكتور « عرفان » مبتسماً وهو يقول : لقد كنت أعرف أننا سنحتاج إليه !

وأسرع « بهاء » إلى الدكتور « سيف » وهو يهمس له : عمى الدكتور هل أنت بخير ؟

وابتسم الدكتور فى وجهه مطمئناً . . واستدار « بهاء » . . على صوت « ممدوح » وهو يقول : اتفضل . .

وصرخ « بهاء » . . كان « ممدوح » يدفع أمامه الدكتور « سيف » . .

وأدار عينيه حوله فى رعب . . دكتور « سيف » آخر ، ولم يستطع أن يتحمل المفاجأة فسقط مغشياً عليه . .



الستار الأخير

نظر رجال العصابة الثلاثة بعضهم إلى بعض فى ذهول وهم يرون « ممدوح » يدفع أمامه بدكتور « سيف » آخر والنقيب « حمدى » يسرع بوضع القيود الحديدية فى يديه . . وقال المدعو « يوسف » لزميله وهو ينقل نظره بين «محسن» و«ممدوح» انظروا . . إنهما توءمان . .

وأجاب رجل العصابة الثانى وهو يضغط على أسنانه : لقد كانا السبب فى الموقف الذى نحن فيه . . لقد تخيلت أنه شيطان خرج لنا من قلب الظلام . .

النقيب « حمدى » : ليس أمامكم الآن غير الاعتراف الكامل . .

فى الوقت نفسه قاد أحد جنود الشرطة المدعو « جاك »

والذى كان راقداً على منضدة العمليات ووضع القيود فى يديه ، وأوقفه بجوار باقى العصابة . .

وابتسم «ممدوح» : خمسة . . هل ندعوهم عصابة الخمسة !

أجابت « هادية » باحتقار : إنهم جواسيس خونة . .

وانضمت « هادية » إلى الدكتور « سيف » الذى كان يطل مع « محسن » على « بهاء » المغمى عليه ، وهو يبتسم له ابتسامة حانية ، ويقوم بمحاولات سريعة لإفاقته . . حتى تحرك وبدأ يستعيد وعيه !

وهمس « محسن » فى أذن « بهاء » : اهدأ يا صديقى العزيز – إن عندنا حقًّا اثنين ، الدكتور « سيف » الحقيقى ، والثانى هذا الذى أحضره « ممدوح » ، وهو « سيف » مزيف طبعاً . .

ونظر « بهاء » حوله فى حيرة وقال : كيف هذا . . ومتى اكتشفتم هذه الحقيقة !

محسن : هذه قصة طويلة سنقصها عليكم بعد أن نطمئن على الجميع . .

واتجه إلى الدكتور « عرفان » فوجده قد استعاد قوته ،

وجلس على مقعد بعد أن تناول الدواء بمساعدة « هادية » .

قال الدكتور « عرفان » سعيداً : لقد أنقذتم حياتى مرتين . . مرة بوصولكم فى الوقت المناسب ، والثانية بإحضاركم هذا الدواء . . الأغبياء إنهم لا يعرفون أن مريض القلب لا يمكن أن تجرى له أية عملية !

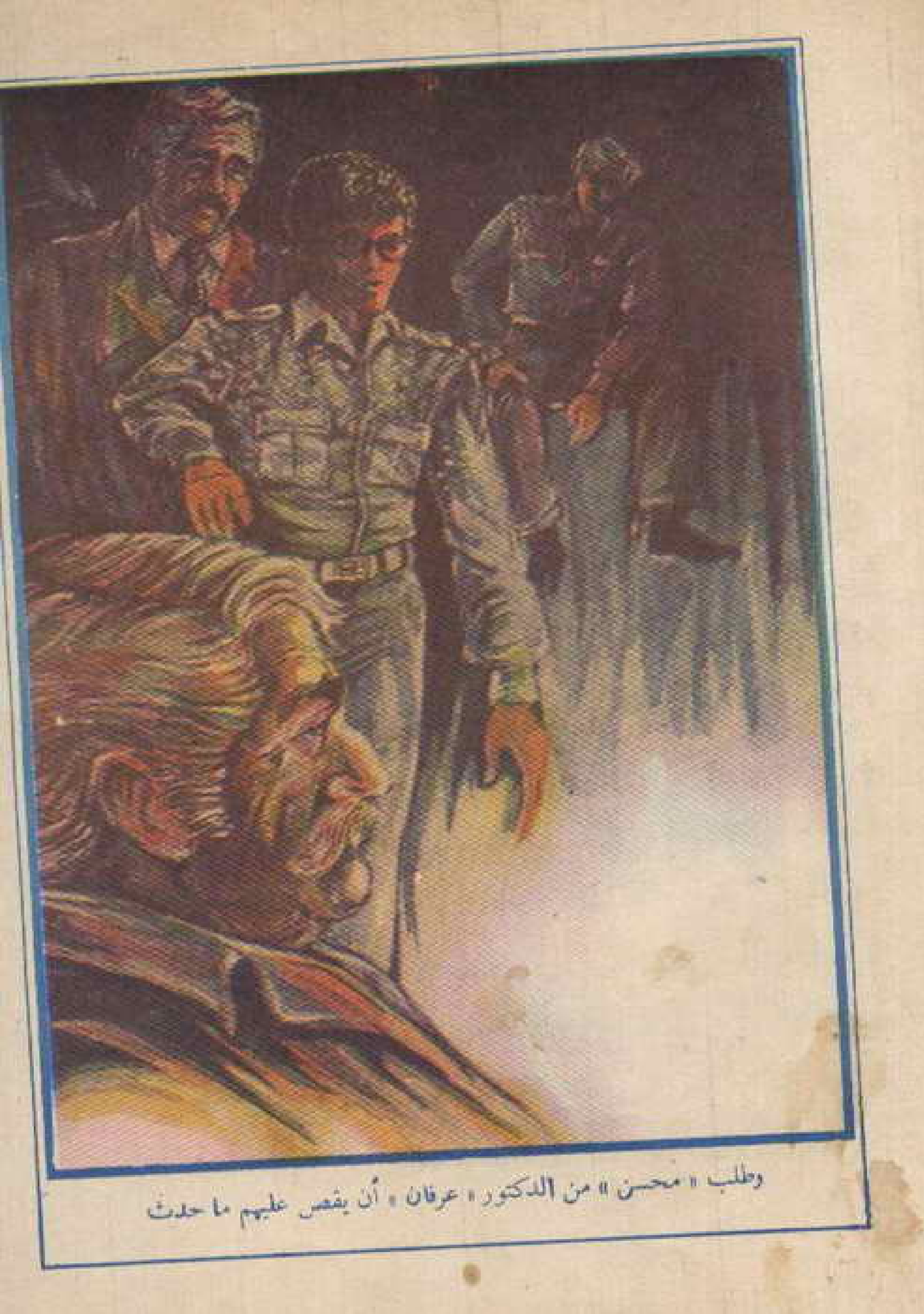
أجاب الدكتور « سيف » : إننا جميعاً مدينون لهم بحياتنا وأعتقد أنهم على قدر رائع من الذكاء . . لقد توصلوا إلى الحقيقة بذكاء نادر . قليلا ما يتوفر لأحد فى مثل سنهم !

النقيب « حمدى » : يبدو أنها قصة طويلة ، وأعتقد أننا جميعاً مشتاقون لمعرفتها منذ البداية . .

محسن : الفضل الأول فى اكتشافها إلى « ملكة التخطيط » « هادية » ! كانت هى أول من فطن إلى حقيقة الدكتور « سيف » المزيف ، إن لها حاسة نادرة !

هادية : ليس هذا حقيقيًّا ، فقد توصل إليها « محسن » قبلى كما أن « ممدوح » فى الحقيقة هو الذى أوصلنا إليكم بجرأته النادرة . .

النقيب : أنتم الثلاثة أصحاب الفضل فى الوصول إلى القبض على العصابة فى الوقت المناسب ، حقيقة أننا كنا



وطلب « محسن » من الدكتور « عرفان » أن يقص عليهم ما حدث

نعلم بوجود عصابة للجاسوسية ، وكنا نتتبع بعض أفرادها ، ولكنا لم نكن نعرف حتى الآن مقرها إلا بفضلكم . .

محسن : سأبدأ بأن أقص عليكم الجريمة كما ارتكبت ، أما كيف اكتشفناها ، فهذه هى الخطوة الثانية . . تبدأ الحكاية كما أتصورها هكذا . . وعلى العصابة بعد أن وقعت ولم يبق أمامها بد من الاعتراف أن تصحح معلوماتى إذا كان فيها خطأ ما . . وبخاصة رئيس العصابة « يوسف » ، وللأسف إنه دكتور جراح كبير ومشهور فى بلاده . . وفى أول الأمر كانت العصابة وهى إحدى العصابات الصهيونية التى لها فروع كثيرة ، كانت وراء الدكتور « عرفان » ، فهى تجرى وراء الأسلحة ، وقد علمت بطريقة ما باكتشافات الدكتور « عرفان » فصممت على سرقة أبحاثه واختطافه أيضاً حتى تحرم البلاد من كفاءته . . فى الوقت نفسه كان الدكتور « سيف » يعتزم الاشتراك فى مؤتمر الاكتشافات الطبية العالمى ، وكما هى العادة ، أرسل ملخصاً لأبحاثه إلى المؤتمر حتى يمكن طبعها ومناقشتها من العلماء ، وهى عادة متبعة فى كل المؤتمرات ، أليس كذلك يا سيدى الدكتور ؟

وأومأ الدكتور « سيف » برأسه موافقاً . . فأكمل « محسن » :

وكانت أبحاث الدكتور عن الذاكرة كشفاً جديداً وخطيراً ينتظرها المجتمع العلمى بفارغ الصبر ، وأصبح حديث المجتمعات العلمية فى الخارج . . وهكذا علمت به القيادة الرئيسية لعصابة الجواسيس ، فأرسلت الأوامر إلى « يوسف » الرئيس المركزى هنا ، للاستفادة من أبحاث الدكتور « سيف » .

ونظروا جميعاً إلى « يوسف » وبرغم التحدى الذى كان فى عينيه فإنه طأطأ رأسه مصدقاً على كلامه .

وتابع « محسن » : وفكر « يوسف » فى طريقة ذكية ، أن اختطاف اثنين من العلماء فى وقت واحد سوف يقيم الدنيا ويقعدها ، ولن يمر الأمر من الشرطة بسهولة ، فهى مغامرة لها عواقبها الوخيمة . . ولن يكون من السهل عليه تهريب اثنين من العلماء خارج البلاد ، وهنا قرر أن يضرب أكثر من عصفور بحجر واحد . . أن يستفيد من أبحاث الدكتور « سيف » فى نقل ذاكرة الدكتور « عرفان » بكل ما فيها من معلومات وعبقرية ، إلى صهيونى مثله ، فيصبح بعد العملية رجلا يعيش بعقلية الدكتور « عرفان » ويعرف أسراره وأبحاثه . . ويستطيع أن يقدم لهم كل النتائج الخطيرة التى توصل إليها الدكتور « عرفان » وهكذا كان عليه أن يحصل على الأبحاث العلمية من

الدكتورين ، بالإضافة إلى اختطافهما ، الدكتور « سيف » فإنه مطلوب للاشتراك فى العملية لضمان نجاحها . . والدكتور « عرفان » لينقلوا ذاكرته . .

نظر « محسن » إلى مستمعيه ليرى رد فعل قصته عليهم . . كانوا صامتين تماماً وكأن على رءوسهم الطير ، ولا ينطقون بكلمة ولا همسة . . بل وكأنهم لا يريدون أن يتنفسوا حتى لا يقطعوا حبل الحديث . .

وأكمل « محسن » : وأرسل « يوسف » فأحضر « جاك » . وأعتقد أنه عالم فاشل ولكنهم فكروا أنه قد يكون أقدر على استيعاب الذاكرة العلمية . . أليس كذلك « ياجاك » ؟

وهز « جاك » رأسه موافقاً . .

واستمر « محسن » : كما أحضر هذا الرجل الطويل وهو طبيب تخدير ، أما هذا الثانى فهو للخدمة والحراسة . .

وبدءوا تنفيذ العملية ، كانت المخاطرة أن يخطفوا العالمين فى وقت واحد ، فقد يتمكن البوليس من الوصول إليهم قبل الانتهاء من العملية ، وفكر « يوسف » فى تفكير شيطانى أن يضع رجلا مكان الدكتور « سيف » ، ولم يكن ذلك مسألة صعبة بالنسبة لهم ، فقد عمدوا إلى القيام بتمثيل دور صحفيين

من الخارج ، وأجروا مقابلة مع الدكتور « سيف » وتمكنوا فيها من معرفة كل عاداته وتصرفاته اليومية ، وذلك بحجة نشر بحث عنه فى مجلة علمية فى أوربا . . أما الشىء المثير فهو مئات الصور التى أخذت له من جميع الزوايا . . فقد كانت فائدتها فى الوصول إلى تقاطيع الدكتور قطعة قطعة . . وقد تمكنوا من إحضار قناع من البلاستيك وهو أحد فنون التجميل التى انتشرت فى الخارج ونجحت نجاحاً رهيباً ، أرسلوا الصور إلى قيادتهم فأرسلت لهم قناعاً هو صورة طبق الأصل من الدكتور « سيف » كما أرسلت لهم شخصاً يماثله فى الطول والعرض ، وهو الذى يضع القناع الذى لا نستطيع أن نفرق أبداً بينه وبين الحقيقة . . وحتى الصوت تمكنوا من تسجيله حتى يتقن اللهجة وطريقة الكلام . . وهكذا أعدوا هذا الرجل ليصبح الدكتور « سيف » المزيف ! . . ثم بدءوا يراقبون الأستاذة « سامية » وفى الوقت المناسب اقتفوا أثرها وكانوا يعلمون من خلال اللقاء الصحفى أنها وحدها التى تحمل مفتاح الخزانة وأنه لا يفارقها إطلاقاً وتمكنوا من سرقة حقيبتها ، وبها المفتاح ونفذوا الخطة . . فى المساء ، وفى جولة الدكتور الليلية ، تمكنوا من اختطافه ، وتركوا الدكتور المزيف يعود إلى المنزل ، ولم يتركوا شيئاً للظروف ،



واستطاعت العصابة أن تقنع الدكتور « عرفان » بالذهاب معهم .

فلم يغير من عادات الدكتور اليومية ، فصعد إلى حجرته مباشرة ، وتولى أفراد العصابة سرقة المستندات . . ولكنهم ارتكبوا خطأ صغيراً ، فقد تركوا باب الخزانة مفتوحاً بعد أن انتهوا من أخذ كل الدوسيهات . . ولذلك كانت دهشة الأستاذة « سامية » بالغة ، عندما دخلت إلى حجرة المكتب فوجدت الخزانة مفتوحة ، وأسرعت إليها فى الوقت الذى دخل الدكتور المزيف وراءها . . وقد خشى أن تستدعى الشرطة ، والأوامر التى لديه هى الابتعاد عن الشرطة بقدر الإمكان فاضطر إلى أن يمسك قطعة من الحديد تستعمل فى المكتب لتثبيت الأوراق ، ويضربها بها على رأسها فسقطت فاقدة الوعى . .

انتفض الدكتور « سيف » الحقيقى وصرخ : « سامية » ، ابنتى ، ماذا أصابها . . وأسرعت إليه « هادية » تهدئه وقالت : إنها بخير الآن . . اطمئن !

وجلس الدكتور وهو يرتجف . .

وواصل « محسن » : وكانت إصابتها من حسن حظه قد أدت إلى إغمائها الطويل ، ولعل هذا هو السبب فى أن « سامية » كانت تقول مستحيل فى نومها ، فهى لم تتصور أن والدها يمكن أن يهاجمها بهذه الطريقة . . وهكذا تخلص من

« سامية » ولم يكن أمامه إلا أن يتخلص من « بهاء » فقد خشى أن يتعرف عليه برغم تنكره المذهل ، فتحرك بسرعة ، ذهب إلى حجرته ، ولم يكن بها أحد فقد كان « بهاء » فى الخارج ، وأحضر حذاءه الرياضى وصنع آثاراً به فى حجرة المكتب ، ثم أخفاه ، وأعاده إلى مكانه فى اليوم التالى . . حتى إذا تدخلت الشرطة كان هذا دليلاً ضد « بهاء » وإذا لم تتدخل كان دليلاً ضده أمام الدكتور يستطيع أن يحتج به ليبعده عن الطريق . . وكانت خطوتهم التالية عند الدكتور « عرفان » فقد قاموا بزيارته ولست أدرى كيف تمكنوا من إقناعه باصطحابهم . ولعله هو يقص علينا ما حدث . .

قال الدكتور « عرفان » : إنهم لم يقنعونى ، ولكنهم هددونى . . كان أحدهم – وأشار إلى ذلك الرجل الذى يشبه المصارعين – يحمل مسدساً ، وأخبرونى أن الدكتور « سيف » فى خطر ، وأنهم سيقضون على حياته إذا لم أذهب معهم ، واضطرونى إلى أخذ بعض الملابس البسيطة ، وكتابة رسالة إلى خادمى . . وقد تعمدت أن أترك دوائى ، فقد كان أفضل عندى أن أموت من أن أفشى إلى أعداء بلدنا سر سلاح توصلت إليه خدمة لبلادى ، وخرجوا بى ولم أستطع أن أقاومهم ، فقد كانوا ثلاثة

وكنت تحت تهديد السلاح ، والحقيقة أننى لم أتصور أننى سأتمكن من الخروج من هذا المأزق أبداً !

وأكمل « محسن » : أعتقد أنه لم يعد هناك الكثير مما يمكن أن يقال ، فقد تمكنوا من العثور على هذا المستشفى ، وتظاهروا بالرغبة فى شرائه ، وتحت ستار معاينة المستشفى تمكنوا من الدخول والخروج وإعداد كل ما يلزمهم ، وحددوا الساعة الثانية عشرة أو ساعة الصفر لبداية العملية الجراحية الأولى من نوعها فى العالم ، واتصلوا بالدكتور المزيف ، وطلبوا منه القضاء على الأستاذة « سامية » والوصول إلى هنا أيضاً فى ساعة الصفر ، ولكنه لم يستطع أن ينفذ هذه المهمة لأن الممرضة الناجحة رفضت أن تترك مريضتها إطلاقاً بالرغم من أنه حاول أن يقنعها بأن تستريح ليلا ، ولما لم يجد طريقة يتصرف بها ، أسرع فى الموعد المحدد إلى هنا ، حيث كان « ممدوح » فى انتظاره على باب الحديقة بعد أن اطمأن إلى وصول الشرطة . وبمجرد وصوله هاجمه ، وقضى على مقاومته . . ثم قاده إلينا . . وهكذا ، تمكنا والحمد لله من الوصول فى الوقت المناسب . .

وتنهد الدكتور « سيف » وقال : ياه . . لقد كانت جريمة محكمة ، ما أصعب أن يتقبلها العقل . . وما أجمل الظروف

التى جعلتنى جاراً للعباقرة الثلاثة !

الدكتور « **عرفان** » : هناك نقطة أخيرة أرجو أن تشرحوها لى ، إن هذه النتيجة العظيمة التى توصلتم إليها ، كانت نتيجة لمعرفتكم أن هذا الرجل دكتور مزيف ، وأنا لا أستطيع أن أدرى فرقاً بينه وبين الدكتور « سيف » ، فكيف عرفتم أنتم حقيقته ؟!

محسن : « هادية » هى أول من شك فيه . . وضعته تحت رقابتها . وكان شكها فى محله . .

الدكتور « **عرفان** » : اشرحى لنا يا عزيزتى لو سمحت هذه النقطة ؟!

هادية : فى الواقع أنه لم يكن من السهل علىّ الوصول إلى هذه النتيجة لولا المصادفة البحتة ، كنت قد لاحظت على الدكتور « سيف » المزيف طبعاً بعض التصرفات التى لا يمكن أن تصدر عن مثله ، فمثلا عندما حضر الطبيب وطلب نقل « سامية » إلى المستشفى رفض ، وهذا تصرف غريب على والد وطبيب كبير . فهو يعرف قيمة المستشفيات ويطمئن إليها ، كما أننى لا حظت أنه يلبس حذاء أكبر من قدمه وتصورت وقتها أنه نوع من شذوذ العلماء بالإضافة إلى محاولته الابتعاد

عن « بهاء » بدون سبب واضح ، ولكنها كلها كانت أفكاراً حائرة فى رأسى .. فلم أتصور قط أنه يمكن ان يكون الدكتور « سيف » شريكاً فى الجريمة . . حتى كانت الليلة السابقة ، وقد أصابنى الأرق والتفكير ، فأخذت أشغل نفسى بإحدى المجلات البوليسية ، فإذا بها بحث عن التنكر ، ودراسة دقيقة للأقنعة البلاستك التى لا تترك مجالا للشك فى شخصية المتنكر ، وهنا بدأت الفكرة تختمر فى رأسى . . وأخذت أضع النقط بعضها فوق بعض . أولا — كيف تمكن المجرم من إعادة الحذاء إلى دولاب « بهاء » . . إنه من أهل البيت بدون شك ، ثم نظرة التهديد التى ألقاها الدكتور على « بهاء » عندما ذكر أنه قد أخرج بنفسه الأبحاث من الخزانة لقد كان المفتاح ضائعاً ولم تقل الأستاذة « سامية » لوالدها هذه الحقيقة ، فكيف عرفها ، ومنع « بهاء » من الكلام عندما أراد أن يذكرها أمام النقيب « حمدى » . . ولكن أشد ما حيرنى أننى لم أجد بصمات غريبة على الخزانة ، فإذا كان دكتوراً مزيفاً ، فكيف تتفق بصمته مع بصمة البطاقة الشخصية للدكتور « سيف » وهنا فكرت فى البحث عن بصمة قديمة للدكتور « سيف » وعندما استطعنا الوصول إليها من فوق ظهر غلاف كتاب أحضره

لنا « بهاء » اكتشفنا الحقيقة ، لقد استطاعوا أيضاً تزييف البطاقة الشخصية ، أحضروا بطاقة بها بصمة المزيف حتى تكون الجريمة كاملة . . ولم يتركوا منفذاً للشك إطلاقاً . . ولكن هذه البصمة التى اكتشفناها كانت الدليل القاطع ، فقد استطعنا الوصول إلى البصمة الحقيقية للدكتور الحقيقى وذلك عندما التقطنا له بصمة من فوق الكتاب الذى أحضره لنا « بهاء » وكان الدكتور يقرأ فيه قبل الحادث ولم يعد هناك مجال للشك فوضعناه تحت المراقبة الشاملة ، وكانت كل تصرفاته تدل على صدق ما توصلنا إليه ! لقد اهتزت أعصابه عندما بدأت « سامية » تعود إلى وعيها . . وحاول الاتصال بالعصابة ولكنه فشل لأننا قطعنا عليه الاتصال التليفونى ، ولم يبق أمامه إلا انتظار وصول العصابة إليه . . حيث كان « ممدوح » فى انتظارها . .

وأشارت « هادية » إلى « ممدوح » باسمه : إن الفضل يعود إليه فى وصولنا إليكم . .

وهز « ممدوح » رأسه نفياً وقال : أبداً ، إن « عنتر » هو الذى أتى بكم ، لقد كدت أذهب ضحيتهم أنا الآخر . .

وهز « عنتر » ذيله . . ونبح نبحة سعيدة !

تحول النقيب « حمدى » إلى جنوده ، فطلب منهم وضع

العصابة كاملة فى العربة واصطحابهم إلى قسم الشرطة حتى يلحق بهم ليحيلهم إلى نيابة أمن الدولة واقترب « ممدوح » من الدكتور « سيف » المزيف ، مد يده إلى وجهه ، ولكن الدكتور « سيف » الحقيقى ابتسم وهو يمسكه من ذراعه وقال له : لا . . إن القناع لا ينزع بهذه السهولة . . إنه فى حاجة إلى عملية جراحية خفيفة لنزع القناع . .

النقيب : طبعاً ، سأتيح لكم رؤيته بعد نزع قناعه . .

الدكتور « **سيف** » : لست أدرى كيف أشكركم ، ولكنى مدين لكم على الأقل بحفلة شاى فاخرة . لعلى وقتها أستطيع أن أعبر عن امتنانى . .

النقيب : أما أنا فأعرف أول عمل يجب أن أقوم به . . الآن وفوراً . . أن أوصلكم إلى والديكم . . وأشكرهما . . أشكرهما باسمى واسمنا جميعاً لأنهما يملكان هذه الفرقة الممتازة . . المغامرون الثلاثة العظام ، وكلبهم « عنتر » . .

وخرج الجميع . . العصابة التى سقطت إلى مصيرها المحتوم فى ظلام السجون . . والمغامرون الثلاثة إلى منزلهم حيث يستعدون للقاء جديد . . مع لغز جديد . . ! !

• • •


ممدوح
هادية
لغز ساعة الصفر
اختفت أخطر وثائق علمية عرفها تاريخ الطب . .
وسقطت العالمة الكبيرة فاقدة الوعي . .
والخزانة مفتوحة على مصراعيها !
جريمة سرقة كاملة . .
ومع ذلك فقد أنكر صاحب الوثائق الطبيب العالم الكبير أن شيئاً قد سرق !
فهل ييأس المغامرون الثلاثة ؟
لا . . إن حاستهم البوليسية تدلهم على أنهم وراء لغز خطير . .
فهل يتوصلون إلى حله ؟!
اقرأ قصة هذا اللغز من السطر الأول . . ولا تفتك كلمة .
فاللغز غامض . . غامض . . خطير !!!
ص
٣٠
دار المعارف
٢٢٠٤٤ /٨٠ م